قصص قصيرة

مسألة وقت

هيـــا الفهد

ليليت للنشر والتوزيع

هيا الفهد

مسألة وقت

رقم الايداع / ٢٠٤٦ / ٢٠١٤ ط٢

الترقيم الدولى / ٨ - ٥٢ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / محمد عبد العزيز

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

هيئة تحرير ومراجعة

و/ سالم ابراهيم سالم

أ / رشا زقيزق

أ/ محمدو السير

المراسلات : ٦٠ ش سكينة بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithpublishinghouse.com

جرافيك

أحمد محمد فتح الباب

design_4art@hotmail.com

إهداء

إلى كل من حرك الخيال لدي ...

فكتبت قصة

هيا القمر

تقديم

بقلم أ. د . تركي المغيض
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الكويت

تنبىء هذه المجموعة القصصية المعنونة بـ «مسألة وقت» للقاصة الواعدة هيا الفهد عن موهبة قصصية تشق طريقها برؤية واعية وتسير بخطى ثابتة في ميدان كتابة القصة، وتتضمن هذه المجموعة سبع عشرة قصة تتناول قضايا اجتماعية وعاطفية ونفسية وذاتية. وقد جاءت عنوانات قصص المجموعة هادفة ومنتقاة ، وتوزعت على نمطين :

عنوان يأتي في كلمة واحدة نكرة ومركزة تفتح آفاقا للتأويل، مثل: لقاء، نهاية، حيرة، عطل، اختناق، دمار .... إلخ

بينما تأتي عناوين أخرى على شكل جملة مثل: أنا ودراجتي الحمراء، هو ونون النسوة، وهواجيس نسائية، ومسألة وقت ... إلخ .

ويلاحظ القارئ لقصص هذه المجموعة أن القاصة اعتمدت عددا من أنواع السرد القصصي فقد جاءت بعض القصص بصيغة الآنا الساردة باستخدام صيغة المتكلم، مثل قصة: أنا ودراجتي الحمراء .

وأتى بعضها الآخر على صورة الراوي محدود العلم أي السرد بصيغة الشخص الثالث أي الغائب كما في قصة حيرة، ومسألة وقت .

وأتى نمط آخر من القصص على شكل ما يسمى بالراوي الموضوعي أي صيغة الحوار مثل قصة انحراف وغيرها .

وقد سيطرت على القصص المعاني الإنسانية التي بُثَّت في ثناياها وبدت بعضها مغلفة بالرمز البسيط الذي يشف عن الفكرة العامة، كما هيمن اعتماد السرد على ضمير المتكلم على أغلبية القصص، وهذا يشعر القارئ بأن القصص واقعية جرت أحداثها مع المؤلفة، ولكن ليس معنى ذلك أن القصص تحمل تجربة ذاتية وحسب، وأنها لا تنسحب على شرائح اجتماعية واسعة في المجتمع أو أنها لا تمثل نماذج بشرية يمكن تعميمها .

ولقد صورت القاصة شخصيات قصصها تصويرًا واقعيا ليس فيه شطحات بطولية أو أفكار غريبة، وإنما ظلت في دائرة المجتمع بوصفه فضاء سرديا، متخذة من العلاقات الإنسانية والاجتماعية والعاطفية مدارا سرديا حكائيا وأغلبية الشخصيات لم تتخذ اسما مباشرا، وإنما جاءت بوظيفتها كالأب والابن والأم والدكتور أو بالكنية أم فلان وأبو فلان .

إن أسلوب القاصة أسلوب سهل وواضح تستخدم العبارات

الناصعة التي تقترب من لغة الحديث اليومي، ولكنها معبرة ومناسبة لكل من الشخصيات والأحداث ، كما تستخدم القاصة الجمل القصيرة المركزة التي تبتعد عن اللهجة أو اللغة العامية، فالتكثيف اللغوي عنصر أساسي من عناصر القصة، فهو يحمي بنيتها السردية من التبعثر وفقدان التأثير .

وتتأرجح المجموعة القصصية بين واقعية شديدة الالتصاق بقضايا الناس وهمومهم ومشاكلهم اليومية، ورمزية سطحية تنكشف خفاياها بيسر كلما أعيد النظر فيها .

وفي الختام أرجو أن يقضي القارئ مع هذه المجموعة وقتا ممتعا في القراءة ، وأتمنى أن تكون هذه المجموعة أول الغيث الذي يتبعهُ خير وفير.

تأملات في مجموعة (مسألة وقت) القصصية

بقلم الناقد والأديب
مأمون المغازي

مسألة وقت ...

تعبير حين تلتقيه تدرك أن الحدث تام بالقوة، منتظرٌ وقت وقوعه أو تنفيذه. يستوقفك هذا التعبير بما يوحي به من ترصد، وبما يوحي به من قبول، وبما يوحي به من رفض، وبما يوحي به من إدراك ويقين، وهذا ما تحقق فعلاً حين تناولت المجموعة القصصية التي تصدر هذا العنوان غلافها، والذي هو عنوان إحدى قصصها. فالأديبة المبدعة هيا الفهد صاحبة هذه المجموعة جعلتني أستعيد مع تلك القصص تلك البساطة الذكية في الحكي الفائق، هذا الذي يقف معبرًا عن ذاته وقدرته على أن يستغرقك لأن الراوي يمتلك عينًا لاقطة لا تغادر الحدث في محيطها دون أن تلملم تفاصيله الدقيقة، متسربة رؤيتها ببساطة وحنكة إلى ما خلف هذا الحدث من استدعاءات، ومسببات، ونتائج ، وحين تعتمد السرد وسيلة أخرى لتكون الذات معبرة تجد أنك أمام استعراض حدثي في سردية تلقائية لا تخلو من استبطان أحيانًا وأحيانًا تركن إلى التداعي الذي ينقل إليك انفعال السارد أو الساردة لتعايشه حتى النبض والدمع، والقاصة المبدعة تجيد تطويع اللغة بما

يناسب شخوص قصصها فتشعر بالبراءة في لغتها حين تكون مع دراجتها الحمراء، وتتعايش الاعتراك النفسي في لقاء غريب، وتعيش تفاصيل المأتم ومكابدة الفقد وتشم رائحة الموت مع المرأة الأولى في هواجس نسائية، وتقف ناقمًا على كل وضع وأنت ترى الخسة من رجال ونساء، وترى الشخصية المعتزة بكل قيمها، وتتعاطف مع قضية المقهورة لتسمع عبارات القهر الأسري وأفعاله في غير موضع زلزالي في المجموعة، وتتفجر براكين القدرة على اتخاذ القرار الذي مرة تصرح به البطلة ومرة تكتفي بالتعبير بأنها عرفت قرارها دون الإقرار باتخاذه؛ لذلك فالمجموعة كلها مستفزة، ولا ينبع الاستفزاز من رغبة القاصة في استفزازك، وإنما لأنها تملك من أدوات القص، والتحليل، والتفكيك والتركيب، والاستقراء ما استطاعت به أن تبني شخوص قصصها لتصبح كل شخصية مستفزة بما تعيش وبما تعاني، وبما تصرخ به جهرًا أو همسًا داخليًا تخنقه التقاليد، وهنا تجيد هيا الفهد اللعب على الوتر المشروخ فلا يكفي أن يحافظ طرف واحد على التقاليد، فكثيرًا ما تحذر البطلة من أن نتائج القهر والإهمال والترك والنبذ والتجاهل وخيمة بهذه اللغة المستفزة للمجتمع فالخطاب هنا شمولي .

حين تتناول هذه المجموعة القصصية بالقراءة ستجد أنك في بؤرة عالم متكامل الأبعاد، وربما تتخلى عن

كثير من قناعاتك والسبب الرئيس في ذلك هو أنك لا تقرأ لناقد اجتماعي، وإنما لأنك مع كل انتقالة تقرأ قصة ناقدة، فالمبدعة هنا صاحبة مجهر ومبضع، استطاعت بحرفية أن تبعد ذاتها عن تفاصيل قصصها، لتقف راصدة، متابعة، ومشرحة، ومدونة بموضوعية المفكر، ولا تكاد تلمح تدخلاً منها في سير الأحداث، وإنما هي ممسكة بخيوط القص على موج رقراق، أدى ذلك إلى إقناعنا بعفوية الحكي وانسيابية السرد بالبساطة الظاهرة والعمق الذي يكون مخيفًا في حالات كثيرة حين تتسلل بك رويدًا.. رويدًا؛ ليصدمك الواقع فتشهق تلك الشهقة التي تفضح مكنوناتك ، وحين تهجم على الحدث فتجد أنك في البوتقة ضمن عناصر القصة ، وحين تصطحبك لتتفقد الهواجس (الرجالية) والهواجس (النسائية).

عندما تبدأ قراءتك ربما تبذل جهدًا لا طائل من ورائه إذا حاولت أن تخلع نفسك من الوسط الذي تدور فيه القصة لأنك ستجد نفسك إما أحد شخوصها، وإما المراقب لما يحدث منفعلاً لدرجة الرغبة في أن تمتلك القدرة لتدمير ظاهرة لا تطيق عليها صبرًا، فلا تحاول أن تجهد نفسك لأن القصص مشحونة بطاقة استحواذ لن تستطيع أن تصفها إلا بأنها مستفزة ذلك الاستفزاز البناء. وعلى الرغم من أن البعض قد يرون أن القصص نسائية، أو أن صاحبتها تنتصر للمرأة إلا

أنني . وستكون معي أيها القارئ الكريم . أرى أن الأسلوب الذي التزمته هيا الفهد لم ينتصر للمرأة وحدها، وإنما انتصر للرجل أيضًا، هي حين وقفت على كثير من السلبيات لم تكن هي المنتقدة وإنما الشخوص في القصص وفق المنظومة التي بنيت فيها والتي لا ينفرد بها مجتمع دون الآخر، بل إن القصص في مجموعها تعالج من الظواهر والقضايا، والأمراض الأسرية والمجتمعية ما لا يخفى على متأمل، ولو افترضنا أن القاصة تعيش في أي بلد عربي غير الكويت وألفت مجموعة قصصية لكتبت نفس القصص في هذا العصر الذي بلا حدود. إنها تحب بلدها جدًا، وتخشى عليه جدًا، وتغار عليه جدًا، وترصد مجتمعها رصد الفاهم العارف المحلل؛ لذلك تصاحبك بالحزن النبيل، وهدوء العاقل الذي يوجعك بحكيه الهادئ العميق.

وفي محور آخر نجد أن مسألة وقت مجموعة قصصية ابتعدت عن التشنج والجري وراء التعبيرات المغرقة أو المعماة أو المبهمة، كما ابتعدت عن إيقاعك في إشكاليات الدلالة اللفظية أو التركيبية فالقضايا التي عالجتها القصص استلزمت هذا الأسلوب البنائي بذاته، فلو حاولت استئصال عبارة لفسدت القصة، أما الحبك فمحكم وفق أسلوب العرض، والسبك قام على البساطة والسهولة سطحًا والتركيبية عمقًا، ومما ستعيشه مع كل قصة هذا التشويق الذي لم يبن على

تحفيزك خلال الطريق إلى الإغلاق، بل هو التشويق الذي تتابع به كل كلمة في جسد العبارة، والنقلات الذكية لتجد نفسك أمام فضاء فسيح يستوعب رؤاك بعيدًا عن مبدعة القصة، لأنها ستكون جالسة بعيدًا ترقب قرارك وردة فعلك تجاه الشخوص والقضية المطروحة، فكن منطقيًا، عادلاً، فربما تكون أنت بطلاً أو شخصية في في قصة جديدة لهيا الفهد التي أعادت للواقعية طعمها المقنع بالعفوية، إنها لم تجهد حرفها بحثًا عن صورة أو تركيب تصعيدي، وإنما هي مبدعة تأخذ بيد قارئها إلى الواقع بعد أن تقنعه بأن كل جرح لابد أن يفتق لنخرج أقذاءه قبل تطهيره وإغلاقه.

سعيد جدًا أن أقدم لمجموعة (مسألة وقت) القصصية التي أبدعتها الأستاذة الأديبة: هيا الفهد، فقد عشت مع قصصها حالة خاصة أجادتها من الإبهار لا تحدثها إلا قصة تخرج من قلم يدرك ما يكتب، لأنه عايش من التجارب ما يجعل أدبه مؤثرًا في المتلقي ليبقى هذا الأدب، وتبقى هيا الفهد أديبة تحتل ذاكرة متلقي أدبها.

الأستاذة الأديبة: هيا الفهد؛

أنتظر المجموعة التالية من قصص تحمل على جناح الإمتاع رسالة .

الكويت

الاثنين ٤ / ١ / ٢٠١٠ م

أنا ودراجتي الحمراء

كنت طفلة صغيرة ذات سنوات خمس حين علمني الأخ الأكبر كيفية قيادة الدراجة ... ضحك والدي كثيرا حين بدأت قيادتها في الحوش الكبير، وضمني بحنانه المبالغ فيه ... وقال : غدا سأشتري لك دراجتك الخاصة.

لا أدري كيف افترشت لحظتها حضن أمي لأنام انتظارا للغد...

دخلت البيت فرحة منادية الأم... صارخة بصخب طفولي لذيذ ...انظري...أمي ... دراجتي ...

ابتسمت أمي لحظتها ، دون النظر لدراجتي، كانت حمراء اللون... صاح بي أخي الأكبر... لنأخذها إلى محل الدراجات حتى نزينها بأشرطة ملونة .

طالعت الدراجة لحظتها وقلت :

ولكنها جميلة ليست بحاجة لتزيين.

بادره أبي قائلا :

الزينة لدراجة قديمة... انتظرا أشهرا ثم افعلا ما بدا لكما.

عض أخي شفتيه رافضا الفكرة وقال... (على كيفك)

أخذت أدور بها في الحوش الكبير يومها... نسيت كل شيء... إلا دراجتي ...

نادتني أمي للغداء... مرة ... ومرتين ... ولم أستجب .

حتى غضب أبي وقال :

إذا لم تأتِ سأعيدها لمحل الدراجات . خفت من تهديده، فأسرعت حيث الأسرة وطعام الغداء .

كانت دراجتي تأخذ مكانها في الحوش الكبير وقبل أن أخلد للنوم أفتح باب الغرفة حيث يطل عليها في بيتنا القديم... أطالعها بشغف عاشق حتى يأخذني النوم في مساراته كطفل هده اللعب...

ضج البيت الكبير ذات يوم حين فقد أخي كلبه المدلل ... استنفرنا نحن الإخوة بدراجاتهم للبحث عنه وكنت أنا أحد من جندوا للبحث عنه، طالعنا الساعة كان الوقت ظهيرة محرم علينا الخروج للشارع في ذلك الوقت...أبي بحكم تجاربه في العسكرية يدرك جيدا خطورة وجود الأطفال خارج البيت في مثل هذا الوقت.

خالفنا الأوامر فالأب غارق في قيلولته والكلب كواحد منا في مكانته ومشاعر الطفل قوية ناحية حيوانه الأليف، وبتفكير أرعن قررنا الخروج للبحث عنه، أخذني حماس طاغ فالتفت حولي لأجد نفسي وحيدة في الشارع دون إخوتي الذكور .

وقفت سيارة بجانبي...أشار للتحدث إلي...

خفت لحظتها على نفسي وعلى دراجتي... وتذكرت كلام الأب الحنون كله لحظتها...بغباء طفولي نزلت من فوق الدراجة وسحبتها بسرعة ناحية البيت.

دراجتي كانت غالية جدا علي...
في وقت كنا نركب الدراجات في شوارع المنطقة.
أتذكر يوما حين قال لي الأخ الأكبر لنذهب في رحلة برية...
وضعنا يومها متاعنا من قطع الخبز والجبن والماء... ذهبنا لساحة ترابية تبعد عن البيت قرابة الكيلو متر ،
(بنيت فيها فيما بعد ثانوية للبنين).
جلسنا فيها نتخيل كما لو كنا في رحلة برية حقيقية، وإذا بامرأة تمر بجانبنا ترتدي عباءة قذرة وتحمل كيسا كبيرا وقد لفحتها شمس البلاد فأصبح لون الصدأ رمزا لها.
كنت صغيرة، تساءلت ببراءة ماذا تفعل تلك المرأة ؟
وبخبث الأخ الذي أراد السخرية مني قال : إنها تجمع الحديد.
نظرت لدراجتي وقلت: هي من الحديد ،هل ستأخذها؟!
رأيت نظرة مكر في عينيه لحظتها حين رد : نعم...
بكيت ووقفت وجلة ماسكة بالدراجة أريد العودة لشارعنا...
حين سمعته ضاحكا يا غبية هي تبحث عن الحديد في الأرض لا أن تأخذ دراجتك .
كنت قد فقدت لذة الرحلة وأردت العودة بالرغم من مرور المرأة بجانب دراجتي دون النظر ناحيتها...كنت البنت الوحيدة التي تملك دراجة خاصة في الحي الذي يقع فيه شارعنا ، فكنت

أغيظ الأخريات بها حين أشمخ راكبة إياها .
بعد فترة من الزمن غاظني ما فعله أخي بدراجته...لقد زينها بألوان مختلفة وجرس وأشرطة مدلاة منها..أردت أن تكون دراجتي مزينة مثل دراجته رفض أن يدلني لمكان تزيين الدراجة...
أخبرت أبي ...اعترض في البداية متعللا بأنها جديدة (حلوة) اقتنعت في البداية لكن بعد أيام قررت أن أزينها كما فعل أخي بدراجته... فعلت ما أردت بعناد طفولي، كنت فرحة ولكنه فرح يخفي تحته حزني على دراجتي ولونها الأحمر فلم أكن مقتنعة بهذه الزينة ... كانت أحلى فيما قبل.
بقيت دراجتي وقد غطي اللون الأحمر بشرائط خضراء وسوداء أسوة بما فعله أخي . فالأخضر يرمز لتشجيع الأسرة للنادي العربي...
مرت أيام ترددت خلالها في إزاحة هذه الشرائط الغبية عن دراجتي لكن خوفي من الأب حين يغضب مني خاصة بعد أن دفع مالا لعملية التجميل تلك... غافلته ذات يوم وقطعت الشرائط الملعونة وفرحت حين عادت دراجتي لجمالها الطبيعي ليطل اللون الأحمر علي فرحا ومنتصرا.
كنت أفرح حين أذهب للبقالة في الشارع المجاور حاملة كيس الحلويات عليها...أتخيل نفسي كبيرة وقد ذهبت للسوق

للتبضع... أضع ما أشتريه في سلتها الخلفية وأعود لأكل ما بداخله جالسة بجانبها في حوشنا الكبير في البيت القديم...

حين قرر أبي بيع البيت والانتقال لبيت جديد في منطقة راقية جدا كان يأخذ رأينا في البيوت التي عرضت للبيع، وكنت أرفض حين أرى حوش البيوت لا يناسب لعبي بدراجتي، حتى وافقنا جميعا على أحدها وانتقلنا إليه...فقدت في أيامي الأولى دراجات الأطفال في الشوارع...أخذت دراجتي وذهبت لبقالة بعيدة...لم أصادف من أغيظها بدراجتي... لم أصادف من يتنافس معي بسباق كنت الفائزة فيه دائما، فأدركت أن الوضع اختلف في المنطقة الجديدة ذات الشوارع العريضة جدا.

صار لعبي بالدراجة داخل البيت أدور حول المبنى... أسرع كثيرا وأضحك كثيرا ولكن وحدي دون منافس.

في فترات هطول الأمطار كنت أحب أن أمر بدراجتي على برك الماء في الحوش أسمع ذلك الصوت الممتع حين يعانق الماء إطاريّ دراجتي وأتخيل كما لو كنت أقود سيارة في شوارع البلد الغالي في أيام الشتاء الممطرة...

أخي الأكبر مازال على مكره وحبه لتربية الكلاب... أحضر يوما كلبا غريبا وقال لي : أريده أن يكون متوحشا... فوضعه في حظيرة، غطاها من كل الجوانب كنت حين أمر عليه ينبح

بجنون وكنت الشجاعة لأن الباب مغلق عليه لذا فكنت أصيح به وآمره بالسكوت.

ذات يوم خرجت للعب بدراجتي الحمراء أدور بها وأنا أضع على كتفي عباءة سوداء كانت قد أتتني هدية من حجاج...

لمحت باب الحظيرة مفتوحا لم أدرك أن الكلب يومها قد أطلق سراحه إلا حين رأيته يلاحقني وأنا أقود الدراجة...

كأن وحشا يلاحقني... دست على دواسة الدراجة وأسرعت دون أن أبكي أو حتى أن أصرخ... كان الرعب قد زاد من سرعتي لا أدري كيف ألقيت بالدراجة ونزلت عنها فقفزت درجات السلم ربما درجتين أو ثلاث ودخلت من باب المطبخ ليعود الكلب من حيث أتى.

كبرت...

ودراجتي باتت تتقادم...

لذة اللعب في البيت مازالت مسيطرة لفترة...لا أدري متى أهملت دراجتي الحمراء والتي تغير لونها من حرارة الجو وغباره، ولا أذكر ما مصيرها.

كل ما أذكره اللحظات الحلوة التي عشتها بوجود دراجتي الحمراء...

لقـــــاء

لمحته جالسا في زاوية المطعم يمسك ملفا أخضر اللون، يقلب في أوراقه ويدون بضع كلمات في ورقة موضوعة أمامه... كان فنجان القهوة باردا... إما قد شربه وانتهى وإما قد تناساه لسبب ما... كان قد كبر في العمر سنوات أطول من المعتاد واختفى البريق الذي كان فيما مضى يطل شعاعا من عينيه ولمحت شفتيه اعتصرتا حزنا فضاق الفم بهما... أخذت تقلب صفحات الماضي في عقل منهك... كم مضى من السنين على آخر لقاء به؟

قد تكون عشرا! أو بضع سنوات أكثر من العشر! لكن الذي أدركته أن هذه السنوات غيرت منه وبدلت فيه...

كان أحد دكاترة الكلية التي درست فيها... كان مثار إعجاب طالباتها وهي إحداهن، لكن لم تدرك أن للسنين آثاراً حتى رأته. لم يلتفت لها، كما لم يلتفت لأي من الموجودين، فقد كان ملفه شغله الشاغل.

ارتشفت كوب الشاي، فقد انتهت من تناول غدائها... ترددت في إلقاء التحية عليه... حالة الوجوم التي تعتريه لم تدفعها للتقدم نحوه وشدتها للبقاء فترة لمراقبته... رن هاتفها المحمول... كانت صديقتها على الجانب الآخر منه تسأل عن مكانه حتى يتسنى لها القدوم كما اتفقتا منذ فترة... الآن لا ترغب في ملاقاتها فقد شدها الآخر حيث هو، فأجابت:

. لقد تأخرت يا منار، وأنا قد تناولت طعامي وسأغادر عاجلا

. ولكننا اتفقنا وقد رتبت أمور البقاء معك.

. لقد تأخر الوقت، وسأغادر...احتدت منار في الكلام متعجبة:

. تصرفك غريب ومزعج ولا أجد له سببا.

. لا يوجد شيء عزيزتي ولكن...

تقاطعها بعصبية واضحة.

. أنا لم أتأخر عليك ولكنها مزاجية منك. أغلقت الهاتف من جانب بعد أن اتخذت جانب الزعل...

تخاطب نفسها: معها حق...ماذا دهاني حتى أتصرف هكذا؟ تعاود النظر ناحيته... لم يرفع طرفا ناحية أي كان غير الملف والورقة...ما العمل الذي يجعله ينهمك بهذه الصورة؟!

سؤال دار في فكر احتار في موقف صامت منه. ترددت للمرة الثانية، هل تذهب حيث هو أم سيغدو تصرفها تطفلا؟ وهل سيتعرف عليها ويتذكر طالبة من عدة طالبات كن حوله...؟ السؤال أضعف الموقف لديها وجعلها تتردد أكثر مما كانت عليه، لكن ما أطل من عينيه حين رفعهما أثار في عقلها تساؤلات عدة: حزن لا محدود وهو الذي كان يتصف بمرح طفولي وشقاوة في النقاش من عفوية... الزمن غيّره

وبقسوة... هذا ما دار في خلدها، تلفتت يمينا ويسارا لعل حركة الرأس الصادرة عنها تشده نحوها، ولكنه عاد للملف والورقة ... كوب الشاي انتصف دون أن تكمله، فقد نسيته دون إدراك منها. الرغبة مازالت ملحة للذهاب إليه ... تكلم نفسها بهمس:

. (مو مهم إذا اعتبرني متطفلة)

. وإذا لم يتذكرك..؟

سؤال صادر من الداخل... والإجابة الأسرع: سأعرّفه بنفسي..

تحرك المقعد للخلف يصدر صوتا مزعجا بعض الشيء، يطالعها رجال الطاولة الخلفية بغضب... تنظر إليه...لم يلفت نظره الإزعاج الذي أحدثته وقد كانت تتمنى... تقف مترددة... يدنو النادل منها، يسأل: هل أحضر فاتورة الحساب؟

تخبره أنها ستعود لطاولتها. يبتعد هو وتقترب هي حيث دكتور الجامعة، تقف برهة قريبة، وقريبة جدا من طاولته... تزداد الدهشة لديها. لم تلفت انتباهه... تسحب الكرسي الخالي عند طاولته... لقد أدرك أخيرا وجودها، رفع رأسه... ابتسمت، لم يبادلها الابتسامة.

. اشلونك دكتور؟

يهز رأسه كإجابة مختصرة، وينتظر التعرف إلى شخصها...

تسأل وقد زالت الابتسامة عنها.

. هل تتذكرني دكتور؟

تطول فترة صمته... تقطعها.

. أنا ريهام أحمد... تصمت فترة، لا ردة فعل بانت عليه... تكمل.

. طالبتك في الكلية منذ سنوات...

يعاود النظر لورقته مغمغما

. طالباتي كثر.

هكذا أجاب وقد احتد في الكلام ... تذكره بموقف حصل بينهما... ينظر إليها مرة أخرى حيث هي ... يصمت قليلا ليرد.

. نعم، نعم.

انتظرت أن يدعوها للجلوس..ولكنه لم يفعل سحبت الكرسي ثانية وجلست... عاود النظر إليها. بادرته بسؤال: لم أعرفك حزينا هكذا، فلماذا؟

الصمت يفرض وجوده، لتكمل ملاحظتها: وقد كبرت سريعا... تصدر عنه زفرة حارة، أدركت بعدها أن في الموضوع شيء خفي.

تنظر للورقة التي دوّن فيها ملحوظاته... قرأت بضع عبارات... لا شيء مهم ... ربما من أجل انشغال الفكر والوقت لا

أكثر.

تسأل:ماذا حدث؟

يتعجب من إزاحة الحواجز بينها وبينه، ولكنها لا تعير ذلك اهتماما... الدنيا لا تستحق منا كل هذا الألم ... التنهيدة تعاود الظهور.

. نعم.

. أنا أصغر منك سنا، لكنها نصيحة، فقد كنا نراك ضاحكا على الدوام وكانت محاضراتك ممتعة لأنك تغلفها بحس فكاهي.

. أزمة وستمر.

. لا شيء يدعو للحزن...

. الموت يدعو للحزن.

إجابة أزعجتها لتسأل:

. من مات ومن فقدت؟

يطرق بأطراف أنامله حافة الطاولة.

. زوجتي .

. الله يرحمها.

يردد بعدها: الله يرحمها ويجعل مثواها الجنة، آمين.

تردد بعده: آمين، العمر لك إن شاء الله

. العمر توقف مذ غادرت هي...

. العمر لا يتوقف بمغادرة أي كان.

تحيد بإجابته.

. وما أدراك ؟

. لقد فقدت الأم والأب وبين الأولى والآخر سنوات قلائل.

. الزوجة تترك فراغا كبيرا.

. والوالدان يتركان فراغا أكبر، لكنها ليست نهاية الدنيا... الحياة تستمر... يطالعها وكأنه يسأل من أين قدمت هذه حتى تحاسبني على حزني ؟

تسأل لتخرجه من طاحونة الفكر..

. وهل لديك أولاد؟

. بنتان.

. فيهما البركة. والبنت أم ثانية.

. مسئولية البنات كبيرة.

. تزوج بأخرى لتكون أما لهما.

. لا بديل للأم، ولا بديل لزوجة حبيبة.

تعجبت وتساءلت وهل يوجد رجل يفكر هكذا؟

آهة صدرت عنها دون إرادة... فرق كبير بينه وبين زوج تركته لعلاقاته المتعددة... الصمت طال بينهما والحزن هو المشترك... حزنه للذكرى التي أطلت من حديثه معها...

وحزنها لمقارنة ظالمة بين زوج خائن ودكتور وفي لذكرى راحلة... يقطع الصمت من جانبه ويستأذنها المغادرة... يحمل ملفه وورقته ويغادر لتعود هي حيث الطاولة المنتظرة... تشعر بحزن غلف القلب والعقل معا، ترفع هاتفها... تعيد رقم آخر من اتصل... صديقتها منار. تقول: أنا أنتظرك في ذات المطعم.

تعالي.

نهاية

انتفضت حين رأته داخلا..

منذ أكثر من أسبوعين وهي تلمح تغيرات كثيرة عليه، نسيانه لأشخاص البيت، اتهامات لا أساس لها من الصحة... نرفزة فوق العادي والطبيعي... نظرات تتوه في الأمكنة فتختلط وضياع للوقت فيجهله، وعادات لم تكن مألوفة طوال العشرين سنة الماضية...

عمر زواجهما.

كان شكله مخيفا... تقاطيع الوجه اتخذت وضعا آخر... هندامه يدل على تسرب العقل من مكانه... عصبية لم تعهدها به... مشحون هو بمشاعر وأفكار سلبية... أحس بما يدور في فكرها...

ردد على مسامعها (خايفه ... خايفه؟)

بهدوء وتعقل تجيب (لا يا بعد روحي.)

(أخاف من بو عيالي؟)

تصدر منه ضحكة طوت حيز المكان معها.

تنظر للساعة... اقتربت من التاسعة مساء.

كانت قد اطمأنت منذ ساعة على وجود الابنين... يرفع رأسه مع نظرتها... يقول لها بحركات غير عقلانية: شفت الساعة وأنت لم تضعي لي الأكل للآن!!

اتسعت حدقتا عينيها... لقد أكل منذ أكثر من ساعة...

لم تستطع الرد. صمتت. أخرجها من حالة الوجوم تلك صارخا:

. أين عشائي؟

. حاضر..حاضر سأعده لك الآن.

تحضر له بيضا وجبنا وقطعة خبز. تضع الأكل أمامه وتجلس عن بعد تطالعه... يأكل بشراهة غير معهودة كأنه لم يأكل منذ أسبوع.

يتمدد على سريره... اقتربت الساعة من العاشرة... لكن الفكر ما زال على دورانه.

تحاول الاسترخاء.

ربما هي أزمة وستزول ويعود كما كان... تتقلب يمينا ويسارا... غادرها النوم. وشخيره يصم أذنيها... يعاود الفكر طرح أسئلته ودائما أسئلته لا جواب لها...

ماذا حصل له؟

ولم هو على هذه الحالة المزاجية السيئة وأصبح الفهم لديه ضيقا؟

لا تواصل بينهما وهو الزوج الحاضر غير المتواجد في آن واحد... حضوره جسدي وعقله غائب...

يا إلهي! ماذا حصل له؟

سؤال غادر موقع الداخل عندها ليفرض وجوده خارجا...

لا بد أن هناك دافعا قويا لما يمر به... الساعة تدور... دورانها أشبه بدوران الأفكار داخلها... رتيبة... مملة... سريعة في حين وبطيئة في حين آخر.

تشعر ببرودة الجو، وتشعر أنها تغوص في بحر بارد أو كأنها تسير على جليد... تضع اللحاف على جسدها... وتتخذ جانبها الأيمن لتقرأ آية الكرسي لعلها تنام أو لعلها تغفو قليلا، لكن وجهه المخيف يطل عليها من خلف ظلام الغرفة... يفزعها... ترد: لا داعي لهذه الهواجس.

الساعة تقترب من الثانية عشرة والأرق استهلك كل طاقات جسدها... ضاع الوقت ما بين خوف ومشاعر سلبية ..حتى استسلمت للنوم دون إرادة منها.

سمعت الباب يفتح... رفعت رأسها ناحيته...لم تجده... حدثت نفسها: ربما ذهب للمطبخ يأكل أو يشرب... أعادت الرأس المرهق للوسادة مرة أخرى... عندما سمعته يعود وسمعت دوران قفل الباب أخذتها الريبة لتساؤل صامت: لماذا يغلق الباب؟

استدارت لتجده واقفا على رأسها وبيده سكين المطبخ... ألجمتها الدهشة وقيدها الخوف وظلت على حالها... صرخ فيها: سأقتلك قبل أن تقتليني... صرخات صدرت منها بعنف حين طعنها الطعنة الأولى... صوتها لم يسعفها... أصبح كما

لو قدم من قاع حفرة... استطاعت مقاومته ووقفت وجرت حيث الباب، ولكن مفتاح الباب معه... أخذت تضرب بعنف الباب الخشبي وتصرخ منادية الابن الأكبر...

تدور في الغرفة وهو يلاعبها مرة يمينا ومرة يسارا، والجرح في الصدر يؤلم ويفقدها القوة والقدرة على المقاومة... تسمع صراخ الابنين بالخارج، ومحاولات لفتح الباب دون إمكانية وهو... ماذا تتوقع منه ؟

حالة غريبة لم تعهدها سابقا فيه... لا بد أنه جن، فترى نفسها في ورطة وتواجدها مع حالته الوقتية تلك معناه الانحدار لبئر المنية.

ضعف الجسد من الطعنة الأولى أضعف قدرتها على الهروب منه... والخوف في الجانب الآخر قيدها هو الآخر... وصراخ الابنين يصلها ضعيفا، متهالكا مع قوة الصراخ الصادر منها.

تلتف حول السرير وهو يضحك ببلاهة وعبط...

تنظر إليه.

تتوسل إليه.

وكأنه لم يكن الزوج والحبيب يوما.

يطالعها بنظرات غريبة... مخيفة... والسكين مازال الدم عالقا بها... يقترب بسرعة فائقة منها... تعاود الصراخ والبكاء والأنين... صوت الابن الأكبر خلف الباب... ماذا يحدث؟

افتحوا الباب... أمي ردي علي... يضعفها الخوف أكثر على الأبناء... يمسكها من شعرها... يلفه بيده... الألم يزداد... تخاطبه بتوسل (إشفيك يابو عيالي ؟) ...أنا زوجتك حرام... حرام عليك... يصرخ فيها:أنت غريبة... تريدين قتلي مع أبنائك... لا بد أن أقتلك قبل أن تقتليني... يسدد إليها طعنة أخرى تسقطها أرضا.

مازالت تستعطفه... ولكن العقل غاب عنه

وجنون يفزعها... وغريب هو عنها... تشعر بانسلاخ الروح من الجسد وأن الله أعلن أخذ أمانته... تلمح السكين ترتفع بضع مسافات لتسقط في جسدها فتغمض عينيها استسلاما لقدر محتوم شاركه جنونه...

تشعر بالألم يمزق الجسد المنهك ولم تعد تملك القدرة على النطق أو الصراخ أو حتى الحراك ولا المقاومة... الدموع هي فقط الناطقة في موقف لا تملك فيه الحياة مكانا... تشعر بأن الباب كسر وأن أقداما أخرى تتحرك في الغرفة، والابن الأصغر يصرخ (يمه... يبه)

والرد لا يملك الوجود.

يدنو الأكبر من أبيه... يحاول مقاومته ومنعه وفي غفلة منه تغوص السكين مرة أخرى في جسد الأم الملقاة... تنظر من خلال دموعها للابن نظرة وداع وخوف لتختفي الصورة في

حالة ضبابية.

يلتفت الأب ناحية الأكبر من الأبناء صارخا:

تريد قتلي أنت أيضا؟

يمسك بيد الأب بقوة الشاب ناظرا لأخيه الأصغر... يجتمع الاثنان عليه...يقيدانه... ليدركا أن الأم غادرت الحياة..

يتم الاتصال بالطوارئ .

هي حالة وسواس.

– ألو... الطوارئ ؟

... .

– أمي قتلت.

.....

حيرة

ساعة كاملة وهي تلف حول ذاتها وفكرها يطوح بها ذات اليمين وذات الشمال وفكرة الاتصال به تخيفها فنقطة الضعف هذه لا بد أن تترك أثرها السيئ عليها وتغذي عنده مساحة التكبر وتزيد من حجم الغرور لديه فيعاند أكثر ويحتقرها أكثر.

تحاول رفع السماعة لحظة فيلجمها الخوف ليعصر القلب ويقطع عليه تدفق الدم فتشعر بنوع من الدوخة تجعل الأرض تدور بها ومن حولها وتزلزل قانون الأرض وجاذبيته. وتتساءل: ما هذا التردد الغريب الذي احتواني وعطل إرادتي ؟

ربما لتجارب سابقة حطم داخلها الروح الحلوة، وسد منافذ الاتصال بعناده! فهو دائما يستفرد برأيه ويتخذ قراراته العبيطة ضدها... مقاطعة تلو أخرى، وانقطاع يدنو من الشهر بزمنه، وابتعاد ينهي من خلاله درجات الشوق التي تحتويها... وها هو اليوم يعلن البعد... فقط لاختلاف وجهات النظر، ناسيا أن الأمعاء تتشاجر مرات عدة لكنها أبدا لا تنفصل .

ترى نفسها تحس بوله أهبل له لكنها لأول مرة تتخذ قرار البعد... ولأول مرة تتعامل معه بأسلوب العناد الأخرق... ولأول مرة تقول: كفى. فكبرياء المرأة عندي يرفض الخضوع له... تشعر بانتصار على ضعف النفس وتلقي بسماعة الهاتف بعيدا وتغلق المحمول لترتدي ملابسها على عجالة... تغادر

الغرفة للصالة الفسيحة ذات الأرض الرخامية، فتجد الأم تحاكي التلفاز... تقبل رأسها وتستأذنها للخروج... تهز الأم رأسها بالموافقة دون النطق بكلمة.

تركب السيارة... تديرها... تخرج من شارع البيت والمنطقة، تتجه مباشرة لشارع الخليج تهدئ من سرعتها فالقانون لا يسمح بتجاوز حاجز الثمانين... تلتفت يمينا ناحية البحر جميلة تلك الأرض الصغيرة (بلدي الكويت)

تقف في مواقف الواجهة البحرية، تبقي فترة في السيارة... تغادرها بعد أن تجاوز البقاء ساعة مرت بها وهي تنظر للماء والسماء... تدنو أكثر من الشاطئ... تتمناه في هذه اللحظة... لكنها تطرده من خيالها بعد فترة الشوق التي عبرتها... إن البقاء معه وفي ظله ليس آمناً.

هو الآن بحاجة لردع، فالخضوع له أخذ حيزا زاد عن حده ولا تريد أن تقحم نفسها معه في علاقة تشعر معها أن له القرار وكل ما يتخذه يأتي به عن انفراد وأنانية... لا بد أن تتنحى عنه وتبتعد ولا بد للشمس أن تشرق ولا بد أن ينقطع زمان عبثه بحياتها... تشعر بمن يقف خلفها يقترب أكثر... تدرك رجولته من رائحته التي تصل إليها...يهمس الصوت الرجولي: بمفردك ؟

تصيبها قشعريرة خوف... تزلزلها... فالواجهة شبه خالية من

الرواد... من هذا الذي اقترب أكثر من اللازم وأخرجها من سيطرة الفكر وأعاق وحدتها؟

تلتفت إليه تحدث نفسها:

. لا بأس به...

. ولكنه عابث يتحدث مع مجهولة فقط لكونها أنثى...

تنظر إليه بشكل ضبابي كئيب يحس برفضها له من خلال نظراتها... تستمر واقفة في ذات المكان ريثما يغادر هو... تلاحقه بعينينها وتغادر بعده المكان...تنظر للساعة... مرت فترة زمنية كافية حتى تهدأ النفس من اضطرابها (وخير ما فعلت حين تركت المحمول في غرفتها حتى تقطع كل اتصال قد يكون بينهما)

تدنو من شارع بيته...سيارته تحت المظلة... يخفق القلب أكثر ويزداد علو الأنفاس حدة...

هو في البيت، أو ربما تراه خرج مع رفيق له!

تسرع حين لمحت من خرج من باب المنزل...

تدخل البيت الأم مازالت في مقعدها...

خروجها قليل وحديثها قل منذ مات أبوها وخلى البيت منه عليها... فالزوج لهذه المرأة كان هو كل الحياة والوجود...

تقترب من المحمول... تتسع عيناها أكثر لعدد المكالمات التي لم يرد عليها...كلها منه أو أغلبها... تلقى به بعنف على

سريرها وتتساءل بغضب معلن: هل يتصل اليوم بعد فترة القطيعة تلك؟!

هل يتصل بعد أن اتخذت قرارها بالبعد؟!

تغلق الهاتف وتلقى بالجسد المنهك وتنام. تفيق في الصباح على وجه الأم الحنون...ما بك حبيبتي؟ تأخرت على الدوام...

تشعر بثقل غريب في الرأس، لكنها تشعر بفرح خفي داخل الروح وتفاؤل معلن... تدخل المكتب... تلقى تحية الصباح على رفيقتها... تنظر لملف موضوع على المكتب... تبدأ بقراءته... يخفق القلب بشدة حين تستمع لذلك الذي يقول: صباح الخير .

ترفع رأسها... تنظر إليه مبتسما... تشعر بنوع من العبوس داخلها ينعكس على الوجه ويلقي بظله عليه... تحوطها لحظات صمت سقطت على الجميع، لتغادر رفيقة المكتب مكانها بعد أن أدركت أن هناك شيئا ما عالق في الجو... الصمت يزداد عمقا، ومن غير اللائق أن يسيطر عليها أكثر... تفضل بالجلوس.(تشير عليه) يحرك المقعد المجاور ويجلس...

أصبح الموقف قاسيا... تتردد في طرح السؤال ويتردد هو أكثر في الحديث وهي واثقة أنه لن يبادر مادام أحس بالصد الواصل منها إليه...

الآن كل شيء محتمل، ولكن لا يهم... لطالما اتخذ قرارات مجحفة في حقها ولطالما ظلمها...

تسأل: كيف حالك؟

ينظر إليها بطفولية حلوة... الحمد لله وأنت؟

تجيب دون النظر إليه: الحمد لله.

يتململ في مقعده... يردد كلمات تصل لمسامعها...لا أستطيع الابتعاد عنك أكثر لا أستطيع تخيل حياتي أو يومي بدونك...

ترد بحدة: ولكنك دوما تبتعد... ينظر إليها بتركيز...

. هو عناد حين تضغطين علي أجد نفسي مكتئبا وأحس بخوف منك ولا أملك القدرة على الجدال ...وأبتعد ..

. ولكنه ليس حلا، فلابد أن نتناقش ولا بد أن نختلف فهكذا هم البشر...

. أنا لا ...لا أملك هذه القدرة

. إذا لا نملك الاستمرار....

يشعر بالخوف يسيطر عليه وتشعر هي بموجة ارتياح.

فالعلاقة متعبة مذ بدأت ولا يمكن الوثوق بالرجال....

مسألة وقت

يرن الهاتف المباشر لها داخل الجريدة... ترفعه بتثاقل، فالمقال اليومي أنهكها هذه المرة وأخذ وقتاً طويلاً حتى أنجز... تسمع على الطرف الآخر صوت امرأة تتصنع الأنوثة وإغراء الحوار... تدرك أنها إنسان تافهة قصدت حديثاً مستفزاً، تلف وتدور بعبارات لم تدرك كنه المقصود خلفها... تشعر بنوع من الملل من استمرارية الحديث حتى يعلو صوتها معترضاً:

. (وبعدين ؟)

. أريد أن أخبرك أموراً عن زوجك.

يفيق العقل من حالة الخمول التي كان عليها ... هناك شيء ما فاتها خلف المكالمة...وهناك شر قادم شمت رائحته ... وهناك موضوع تفهمه هي بحس المرأة...

تمنحها فرصة الكلام دون مقاطعة... يثيرها حديث إما كيدي أو هو واقع تجهله... شعرت بارتجاف سماعة الهاتف في يدها وبنوع من العرق البارد يلفها... حديث لم تكن تتوقعه ذات يوم.

. (أنت تعرفين يا أم خالد أن بو خالد له شقه في منطقة السالمية)

لا تستطيع الرد... الصمت هنا هو النجاة من الولوج في حديث فاضح معها... تدرك بحكم خبراتها أن المتحدثة لعوب وهي لا تستطيع مجاراتها، وأن هناك العديد من النسوة يذهبن

إليه... تجد نفسها تسأل بعبط ملحوظ:

. من أي جنسية ؟

بثقه ترد الأخرى:

. أووه... جنسيات مختلفة...

. وهل هناك من موظفات زميلات له؟

تستمر في ضحكة سخرية

. أووه ... كثيرات... أيضاً من جنسيات متعددة...

الصمت يفرض نفسه... صدمتها، والقوة من الطرف الآخر.

. أنت تعرفيني أم خالد، التقينا مرة أو مرتين أنا أعمل معه.

ماهذه القوة والجرأة التي تملكها؟ تعلن عن نفسها بكل وقاحة... لم تتستر خلف عبارة فاعلة خير

حديث النفس داخلها يستمر.

هي إما امرأة فاضحة وغير شريفة وإما هي صادقة فيما تقول.

تقطع عليها خلوة الصمت والسكوت.

. أنا أملك وثائق ولدي مجموعة حقائق لما أقوله.

. وهل أنت إحداهن؟

تسمع ضحكة مجلجلة تهز طبلة الأذن ويقشعر لها البدن.

. لقد حاول ... ومازال... من أجل هذا اتصلت بك...

هل وضعها الزوج على لائحة المغدورين وهل العلاقة بينها وبين زوجها علاقة هشة طوال تلك السنين وهل الوضع ليس

على مايرام بينهما ؟... تشم رائحة مقرفة من مكالمة أنهكت العاطفة والقلب تخرجها من الشرود داخل منظومة الخيانة بسؤال منها

. يوم السبت الماضي أين ذهب زوجك ؟

ببلاهة أوجدتها الصدمة، فقدت فيها الاتزان والتعقل ترد: ها ؟؟!!

وبقوة امرأة الشارع تجيب الأخرى: كان عندي .

تحاول أن تتنفس وأن تعثر على المناسب من الكلام وتطرد أثر المفاجأة من داخلها حتى تقف بقوة في وجه عاصفة قادمة ... تتغير نبرة الصوت... تدافع عن تاريخ وولد وبيت

. وما أدراني بصدق كلامك وأن ما تتفوهين به ماهو إلا عمل كيدي لك من ورائه مآرب أخرى ؟

. أيفزعك كلامي ؟

تكمل : أصلاً أنا أخبرته أني سأتصل بك. هل بعد ما شبع مني يهجرني ؟ وأكيد لأخرى !

. وهل وعدك بشيء؟

تضحك بلا مبالاة واضحة... حبيتي، أصحي... أنا متزوجة.

آه... الصدمة غير محتملة... تجعل الأرض تميد تحت قدميها... هل اقتربت القيامة ؟؟!

هل الخيانة سمة العصر والوجود ؟؟!

هل الغدر قدري ...؟؟!

أسئلة لا إجابات لها... والقلب يخفق بجنون أشبه بجنون اللحظة التي تعيشها... وسؤال يطل عليها من بين قذائف الموقف... لم لا أقفل الخط بوجهها وأرتاح ؟ وهل فعلاً سأرتاح؟ لقد أدخلت هذه الملعونة روحي في دوائر الشك والريبة .

. راقبي زوجك جيدا فقد تعود العبث بك وبالأخريات بعلاقة مزيفة ....(لا تستطيع أن تفهم ما تقول) ..

أي منا علاقته المزيفة .. أنا أم الأخريات؟!

وهل هذا العمر بيننا. عشرون عاماً. ما هو إلا فقاعة صابون أو بالونات هواء تفرغ بسهولة ؟!

تنكسر بسهولة ؟!

تنفجر بسهولة ؟!

. سينكشف يوماً أمام الكل، لكن الأهم أن أكشفه أمامك.

صحت على عبارة مجنونة من إنسان غير متزنة أخلاقياً ....

. تريدين الفضيحة أذن ؟ وما الثمن ؟

. لا شيء ... فقط أريدك أن تعرفيه على حقيقته... دائماً يحسب لك ألف حساب،

ويتباهى بعقلك وأدبك وتربيتك ومستواك ..

. يتحدث عني معك ؟

. أعرف عنك أكثر مما تتوقعين.

عارية هي أمامها...تلعن الساعة التي وضعتها بهكذا موقف...

لماذا يقحمني بالموضوع ؟!

لماذا تتطاول هذه علي ؟!

غلطته هو وخطؤه هو.

تسأل:

. ولكن للآن لم تعطيني أدلة أو براهين أستطيع مواجهته بها.

. اسألي وسأجيب.

داخلها يردد: يالوقاحتها ...

إن كان اسمي يرِد في جلساتكم سأخاطر بأسئلة أريد إجابة صريحة عليها.

. حاضر . ببرود تجيب

. هل .. هل حدث بينكما شيء ؟

. مافهمت .. بذكاء تتساءل

. يعني ..هل عاشرك جنسياً؟

الضحكة العابثة تعلو .. هو يريد... يصر ...

وأنا أرفض....

. ماذا أخذت منه؟

. ماذا تقصدين ؟

ملعونة هي...تتعمد الرد بأسئلة كأنها تعلن ما بك يا غبية.

. أقصد هل أعطاك هدايا؟ فلوس....

بثقة يأتيها الجواب يلطم العمر الذي تحطم على صخور الخيانة

. أكيد... مثلاً في عيد الحب السابق أهداني حقيبة.

. من أي ماركة؟

سؤال غريب يصدر عنها يعطي دلالة قاطعة على حالة من الفوضى باتت تعيشها....

. (ما ادري)

حديثها الداخلي يفيدها أن مستواها متدن ..

وبيئتها وضيعة... يأخذها الفكر في رحلة سابقة ...

حبيبي ..

كل عام وأنت الحب ...

وسؤال منه .. ما المناسبة؟

عيد الحب يا حبيبي

كيف أدار ظهره لها حينها قائلاً: تلك بدعة، ألا تستمعين للأحاديث الدينية !!!

ليس ذنبك ..

لا تضعي اللوم عليك .هي وسخة وهو أيضاً والله يقول الزانية لا ينكحها إلا زان...

. وماذا أيضاً؟

. شوفي حبيبتي... هو هدد بخراب بيتي ..أنا لا أهدد...أنا

أنفذ... وصلتك الرسالة ؟

تغلق الخط... تشعر برغبة في الحركة... حياتي تتهدم... تشرب من كأس الماء الموضوع على المكتب... تقرر... لابد من مواجهته، عاجلاً وليس آجلاً... تنظر للساعة... تدنو من الثانية عشرة ظهراً... هناك وقت لكليهما... ومكان عمله ليس ببعيد... ستواجه الاثنين على غفلة منهما...

تدخل مكتبه... يستغرب الزيارة، فهي قلما تأتيه حيث عمله... تسأل عن فلانة ... يفاجأ بالسؤال، ولكنه عبث الذئب لا يظهر ما بداخله... تأتي... تراها... تضحك الأخرى فالمفاجأة لم تثرها... يجلس الثلاثة.

تسأل هي: هل صحيح بينكما علاقة ما ؟

الذئب مازال على هرولته... أكيد علاقة عمل ... تضحك الأخرى وتقول: لا يا بوخالد...

زوجتك تقصد العلاقة الأخرى...الموقف برمته يثير عندها غثياناً غير معهود... تحاول السيطرة على المشاعر... انه مجرد اختبار لها من الله... تفضحه الأخرى... تعيد كل ما قالته على الهاتف وتزيد عليه...

وهو أين ضاعت هيبته وشخصيته... جردته تلك من آخر قطعة ملابس للشرف والكرامة والرجولة وهو لا يملك إلا أن يصرخ:

(جذابة ... ما صار)

التم عدد من الموظفين عليهم... الصوت العالي سحبهم من أماكن العمل... وهي مجموعة مشاعر سلبية حاوطتها، دمرت فيها الزوجة والأم والأنثى، وصحت على حقيقة مرة خيانته... بل خياناته كما زعمت الأخرى.

شعرت بالخجل من موقف مدمر.لم يفت الأوان على الانسحاب... تركت المكان . غادرت الممرات العدة في المبنى... اجتازت المواقف... جفاف الريق أنهكها في جو حار ... غصة في الصدر وألم في الفؤاد والرغبة في الصراخ ملحة، وعبارة تدور داخلها: الصدمة التي لا تقتلك تقويك. والمشاكل لا تستمر للأبد ....

هي مسألة وقت.

والاستمرار بالتنفس دليل الحياة...

لقاء غريب

اتخذت موقعها... كرسي خشبي كبير في المنتزه يطل على بحيرة مترامية الأطراف وضعت السماعات الصغيرة على الأذن تستمع لموسيقا هادئة تبعدها أميالا عن بنود التفكير وقنوات الذكرى.

تحب هذه البلاد البعيدة جدا عن الموطن الأصلي لها وعن طرقات بلدها ووجوه المعارف والأقارب والأصدقاء... تطالع بعين هدها الحزن لأسراب البط الذي افترش بعضه سطح الماء واتخذ البعض الآخر موقعة قربه...

كان قرارها وحدها بالبعد عن الوطن والأهل وعنه هو بالذات كي تفكر بصورة صحيحة لا يجرها تأثير الغير لدروب قد تندم عليها لاحقا.

قرار يدمر البيت والأسرة والتاريخ المشترك بينها وبينه... لكن استحالة الحياة واستمرارها هو سبب القطيعة والرغبة في اتخاذ قرار يعيد إليها روحها المغادرة بفضله هو ومن معاملته الجافة والكريهة.

أفاقت من شرودها واجترار آلامها على ذلك الذي أخذ يشاركها المقعد وحيز المكان وهدوء الوقت...لم تنظر ناحيته... اكتفت بأن أدركت بنظرة خاطفة أنه رجل وليس امرأة. أمسكت الـ (آي بود) ورفعت درجة الصوت قليلا... تفحصت الأشجار التي علت تناطح السماء علوا،

وتمايلها مع غزل الهواء في رقصة الطبيعة مع الطبيعة... أخذ الجسد المحاذي لها بالحركة... أدارت وجهها ناحيته رأته شابا في الثلاثين، أسمر البشرة... يخرج من كيسه الموضوع جانبا قطعة من الخبز وماء، ويأكل بصمت.

تساءلت: لو كنا في دولة عربية وهذا الجالس محاذيا لها؛ لبدأ كلامه معها بكلمة (تفضلي) حتى يكون للمشاركة نصيب من الحوار المرغوب، وبعيدا عن صمت الوحدة وحتى يكون هناك (العيش والملح) لكن هنا الأكل منفردا... والجلوس منفردا... وحديث الروح داخل الروح لا يسمع له صدى..

اقتربت إحدى البط منه كأنه تعوّد مشاركة البشر طعامهم وحديثهم الداخلي... أخذ طرفا من خبزته وألقاه لها.

شعرت باغتصاب الهدوء والرغبة في الخلوة...

تضايقت... سيأتي المزيد من البط لالتهام قطع الخبز وهي تخاف البط وتخاف اقترابه... لكن الخبز نفد والبطة الوحيدة غادرت بعد أن أصابها نوع من يأس في المزيد... أخذ يرتشف الماء، وينظر ناحيتها... ربما لأول مرة منذ جلس يدرك طبيعة الجالس بجانبه... التقت الأعين... أدركت أنه قريب لها من جنس العروبة، فهذا الشعر الأسود المجعد وتلك النظرات الحادة والبشرة السمراء... وهي بلباسها وحجاب الرأس... لابد أنه أدرك انتماءها... يطيل النظر ناحيتها وشعرت بلسعات

نظراته... تسمع صوته يأتي من بعد بفضل سماعات الأذن

يسأل: هل أنت عربية؟

تهز رأسها بالإيجاب... تشعر بحركته على المقعد الطويل وقد لف جسده كله ناحيتها...

الحمدلله، منذ قدمت لهذه البلاد لم أسمع لغة غير لغة الأجانب... لهجته تأتي من دول المغرب العربي، لهجة صعبة لسرعة النطق بها...

. ومن أين أنت؟

مازالت تجيب دون أن تطالعه بشكل مباشر

. من الكويت ..

. قصدك من الخليج العربي ..؟

تضحك داخلها... صرنا أهل الخليج فقط واختلطت الدول.

تحدث نفسها

ألم يقولوا تعاون خليجي إذا أتى ثماره ؟

يعاود السؤال فترد باختصار (نعم)

تمر لحظات هدوء مفروضة... تسمعه يقول:

أنتم أهل الخليج أصحاب رفاهية... تضيق بهذا التعليق الذي يدل على حقد مدفون، فتصمت

يعاود حديثه

. لابد من الردود المشتركة بيننا مادمنا أصحاب لغة واحدة

تستمر في صمتها... تطالع البحيرة كمن أرغم على الصمت... تتجاهله بعد أن استفزها بعبارة (أصحاب رفاهية) لا يدري أن جيل الفقر والعوز مازال موجودا في أب أو أم أو خال... تتحدث عاليا:

. أين كنتم يا أبناء الدول الغنية حين كانت الكويت فقيرة يأكل أبناءها الجوع والمرض ؟

تسمعه يسأل

. نعم؟ لم أسمع ما قلتيه..

تلتفت إليه وتطالعه بنظرة ضيق قائلة: هي عقدة نقص... يرد بأسلوب خانق تكمن الخلافات خلفه:

. عند من؟

تقف حاملة حقيبة اليد...تراه يضحك ...يستفزها ضحكه أكثر... تكلم داخلها: أتجنبه أفضل... يقف بجانبها، لا تكترث له...

تشعر بقلقه، ليقول:

. أردت أن أجد لغة الكلام بيننا، لا أكثر..

. ولكن تعليقك سخيف

. آسف، لم أقصد إهانة أو تجريح...كنت أرتجي صحبة... أرجوك اجلسي... تشعر بندمه فتعاود الجلوس... يشعر بنوع من الراحة تحتويه وأخذ يحدثها هذه المرة بكلام أنيق

. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

تنظر إليه بتعجب من هذا السؤال... يجيب على ذاته: سياحة؟

. لا. هروب.

. هروب؟! هل فعلت شيئا ضد القانون؟

تضحك من تساؤله... تبرق عيناه إعجابا... . ضحكتك حلوة.

تخرجه من حلمه سائلة :

. وأنت؟

. آه . هروب.

تضحك للمرة الثانية... يشاركها الضحك،

لكن لا تذهبي بعيدا... ليس ضد القانون، إنما هو هروب من البطالة، فأنا تخرجت منذ ثلاث سنوات ولم أعمل في بلدي؛ لذا هاجرت إلى هنا...

. وهل وفقت؟

. عثرت على وظيفة جيدة وراتب جيد.

لأول مرة تطالعه بشكل مباشر... وجهه يجلب الطمأنينة... وأنا أحتاج إلى شخص يسمعني دون أن يكون مدركا لتجربتي وما مررت به

. وأنت ؟

سؤال أفاق به العقل من شروده

. أنا؟

. نعم أنت... وحيدة في بلد غريب.مم تهربين؟

. من زواجي.

إجابة تزامنت مع تنهيدة

. متزوجة؟

. منذ عامين بعد تخرجي مباشرة... ولكن لم أدرك أن أحزاننا تلاحقنا أينما ذهبنا... لأن المشكلة تكمن داخلنا فلا ندرك كيف نتعامل معها...

. شوفي يا أختي، مهما كانت مشكلتك فلابد من حل، ولا بد من وجود نهاية للحزن،

وحماية لنفسك وصحتك وشبابك اتخذي القرار الذي يريحك دون النظر لردود فعل الآخرين...كلماته تدمي القلب... تشعل في الروح نيرانا تحرقها من الداخل... هذا ما يجب فعله.

يحترم صمتها هذه المرة ويقف... يسير باتجاه البحيرة، يرمي بقطعة حجر صغيرة... تكف هي عن النظر حيث هو..

تقابلا للتو لكنه أفادها أكثر مما أفادها المقربون... أولئك الذين طالما حدثوها عن ضرورة الصبر وأهمية التحمل... لكن أن يصل الأمر للضرب والإهانة والتجريح وأنها نكرة لا أهمية لها

في حياته... شيء يفوق المنطق وقدرة الروح على التحمل...
تقترب منه... يطالعها بشفقة واضحة... يسألها
. ألا تريدين التحدث؟
يشعر بترددها... ينصحها قائلا: تحدثي فأنا مجرد غريب سيغادر مكانك وزمانك ويجهل عنوانك... تحدثي إلي كما لو كنت تتحدثين للطبيعة .. للبحيرة هذه مثلا.. قد أفيدك نوعا ما..
. تزوجت.كان صديقا لأخي... رآني.. أعجب بي... تقدم لي...كل شيء عادي،
لكن مع الأيام اتضح لي عنفه وسوء خلقه وعصبيته و(فلتان لسانه)
تصمت لحظة... تكمل بعدها: لم أترك أثرا في نفسه لم يحبني كما كانوا يقولون: الحب يأتي بالعشرة.. ربما... ربما الخلل بي أنا،لكنني كنت زوجة صالحة... مؤدبة... مطيعة... لكن معاملته تدل على عدم احترام... تنظر لذلك المنصت... تتساءل... اتضح أن شخصيتي ضعيفة لا أعترض...
لا أناقشه، ولا أطلب مما زاده حدة ناحيتي...
ربما كرهني! رآني لا أستحق الاحترام، ولا الاهتمام.
تبكي بصوت مسموع... هي الآن بلا أسرار مع هذا الغريب...
يضع يده على كتفها... يرفع رأسها... تبتعد متجاهلة النظر

إليه...

يأمرها بالنظر إليه... يسألها: هل أخبرت أحد أفراد أسرتك؟

الأم...الأب... أيا كان؟

تهز رأسها بالنفي... يجيب بعصبية واضحة..خطأ. الأهل عندنا نحن العرب عزوة هذا ما جعله يتمادى..صح؟!

تهز الرأس بالإيجاب... يسألها مرة أخرى

يريدها أن تتكلم لا أن تكتفي بمجرد حركة...

تجيبه من وراء نحيبها : نعم... نعم

لو كنت أخوك لأدبته... لن يتجرأ أي كان أن يجرح أختي..

. وصل الأمر للضرب والرفس لأتفه سبب.

يضرب كفا بكف..ليقول: لو كنت تعيشين هنا لقاضيته..

. والآن؟

. الآن اتخذت قرار السفر والرحيل بعيدا وأخبرته بذلك.

. وماذا كان رد فعله؟

. لا شيء... لم يهتم لأمر الرحيل.

. وما هو قرارك؟

. لم اتخذه بعد، كل ما فعلته أنني ابتعدت عن جميع المؤثرات، أريد التنفس بحرية واتخاذ قرار يكون لي وحدي.

. خير ما فعلت... صلي يا أختي وسأدعو لك بأن يكون قرارك هو القرار الصحيح...

والنار داخلك مهما كانت ستغدو رمادا ذات يوم والزمن كفيل بأن يعالج جروحك فلا تبقي للمشكلة أية آثار... يهزها من كتفها...كوني قوية ومهما حدث لابد أن تصلي لطريق الصواب... هل تفهمينني.؟

ترد بصوت عال..

نعم.. وتبتسم... تراه يبتعد بطريق محاذ للبحيرة... تتنفس بحرية... لا تستطيع أن تخدع الجميع بأنها سعيدة معه ولا أن تستمر في خداع نفسها...

القرار بزغ من بعد عتمة.

مجرد أيام وتعلنه للجميع...

هواجس رجالية

الرجل الأول

أخذ يقلب مجموعة الأوراق التي سلمها له الطبيب المختص... قرأ ما فيها أحرفًا يدرك صورتها لكنه يجهل مضمونها ومعناها... رفع رأسه للطبيب... أخذ الآخر يستفزه أكثر بدورانه وهو جالس على كرسيه الدوار... يرفع أنامله مرة لنظارته، يقربها حينا لمقدمة الأنف ويرفعها مرات للأعلى وهو يبتسم ابتسامة غباء، والآخر مصدوم لا يحرك ساكنا جاهلا أصول الحديث وطرق الكلام... منذ أشهر كان فرحا حين أخبرته حلوة اللبن أنها وجدت له بنت الحلال وفق شروطه... فرح أكثر حين التقى بها وأعجبته متذكرا ذاك اللقاء، حين بادرت أمها وهي تبتسم فرحا بعد أن تم القبول من الطرفين وحصلت الموافقة المبدئية من كِلتا العائلتين... الله يبارك هذه الزيجة يا ولدي... والله أن قلبي انشرح لك وكذلك أبوها، لترد أمه وهي مبتسمة: إنه شعور متبادل.. وعسى الله يوفق هذا الزواج بإذن الله يا أم أحمد.. ابنك سيكون ولدا ثالثا لي وسأضعه في عيني...

كذلك ابنتك..تلتفت بعد عبارتها تلك حيث الكنة المرتقبة... وتسألها هل لك شروط يا ابنتي..؟

تميل هي حيث رأس أمها وتحدثها بصوت هامس فيه نوع من الخجل الواضح... ترفع الأم نظرها للبنت باستغراب من طلب لم يكن بالحسبان... تلمس أم أحمد حيرة الاثنتين...

خير إن شاء الله ... تعاود الأم النظر لابنتها لعلها تتراجع عما أخبرتها به، لكن البنت تهز رأسها بالإصرار...

والله يا أم أحمد ... وتصمت

يزيد توتر أم الولد حدة ويتغير وجهها قائلة:

خير؟

ابنتي لها طلب وحيد.

يتنهد هو وينتظر أن تبادر أمه بالسؤال عن مضمون هذا الطلب... تعاود أمها الكلام:

تريد ابنتي من أحمد أن يفحص قبل الإقدام على الزواج...

تصمت أمه مستغربة الشرط.

يسأل هو: فحص الايدز؟

لا تملك أمها إجابة.. جاهلة الطلب... ترد البنت: لا. فحص الإنجاب.

يصمت هو... ترد أمه: هذه أمور بيد الله عزوجل... تجيب البنت: نعم. ولكنني أريد أن أعرف، فزوج صديقتي بعد زواج دام خمس سنوات اتضح أنه عقيم... تنظر أم أحمد حيث هو جالس... نظرات تعبر عن الرفض... أحمد يوافق: لا بأس ... هكذا رد.

يخرجه الطبيب من عبث الذكرى... لا تستسلم يا ابني...

يقف أحمد ويقترب من كتف الطبيب... وهل هذه نتيجة

أكيدة؟

نعم..كل تحاليلك مدونة في هذا التقرير كنتائج وإثباتات.

وهل تعلم معنى هذا؟

معنى ايش يا ابني؟

نتائج التحليل..يقولها بصوت عال، ليعلو صوت الطبيب معترضا وهو يقول: وهل هذه النتائج من عندي أنا؟ إنها تحاليلك ونتائج فحصك.

ولكن...

يقاطعه الطبيب: أرجوك.. هناك مرضى غيرك... يلملم الأوراق ويغادر الغرفة مكسورا... يصعد للسيارة... يرن الهاتف على مقعده، فقد نسيه بغير قصد... أمه على الطرف الآخر... لا يستطيع الرد، فهو لا يملك القدرة على المواجهة...

يدور بسيارته دون دراية منه أو وعي... يرى نفسه تحدثه: ما الذي يغضبك؟ امرأة بدل امرأة وانتهى... يرد على نفسه بغضب: المشكلة ليست في المرأة الأخرى المشكلة تلفني أنا، أنا المقصود بالمشكلة... أنا المشكلة بذاتها...

لا بد من تدبر أمري أنا... لابد من إيجاد طريقة للخروج من هذا المأزق... ندم يلفه ويضغط على أعصابه ويلعن اللحظة التي وافقها على شرطها ويلوم نفسه على الاستجابة لطلبها... ماذا يقول لأمه وماذا يقول للناس، وكيف سيقدم على الزواج

مادامت النتائج تفتح فمها بشراسة واضحة تعلن أنه غير قادر على الإنجاب لا بعلاج ولا بغيره..

(لماذا) سؤال حاوطه بقوة... ينظر للسيارة التي وقفت بجانبه عند إشارة المرور والرجل يلاعب ابنتيه... لماذا الله أعطاه وحرمه هو...

يهز رأسه مستغفرا ربه من هواجس ملعونة... يرن الهاتف للمرة الثانية... أمه... يشغله خوفها وقلقها... يرفع هاتفه... تستشف الأم مقدار الألم الذي يطوق صوته وردوده، تدرك بإحساس الأم وقلب الأم أن هناك شيئا ما يحزنه، تسأل: ما بك يا وليدي؟

لا يملك هو إلا أن يخبرها بنتائج فحصه... يسمعها من بعيد تردد: لا حول ولا قوة إلا بالله... يشعر بالألم يخترق صدره، لكن الأم تأمره أن يذهب لطبيب آخر ويبدأ فحصا آخر...

يقف أمام مستشفى خاص مشهور ويجر رجليه حيث الممر الطويل يحدوه أمل بنتائج مختلفة ومصير مختلف...

الرجل الثاني

نظر إليها وهي ممدة على سرير المستشفى...
صامتة... والمكان يغلفه صمت مسيطر ومحكم...
اقترب منها... بالأمس كانت في بيته متدفقة الحياة كثيرة الشكوى...كيف انقلب الحال فجأة من صحة لمرض، ومن عافية لإعياء...
اقترب منها... صدرها يعلو باضطراب ملحوظ... القلب يخفق بضعف، وأجهزة تعطى مؤشرات بألوان مختلفة.. حمراء .. خضراء .. يجهل غالبية رموزها... وضع يده على كتفها الممدودة بإهمال مبالغ فيه... باردة تلك اليد... رفع الغطاء ووضعها تحته... تحركت جفون العين المغلقة... خاطبها بصوت أقرب للهمس (يمه)
تنهدت بإعياء... عاود النداء: (يمه)
فتحت عينيها... نظرت إليه من خلف تجاعيد عين اقتربت من الثمانين... ابتسمت... يحب ابتسامتها فمازالت تحتفظ بأسنان جميلة... دنا من جبينها وقبله... ازدادت الابتسامة عمقا واتساعا... جر إليه كرسيا وجلس قبالتها...
صحت من لحظات الصمت الذي مارس معها لعبته، والتفتت ناحيته... بصوت يلفه العشق للأم قال: (آمريني)
وترد عليه من خلال نافذة الضعف(ما يأمر عليك عدو)

يقترب من وجهها حتى يلفحه النفس الصادر منها...

. راضيه علي يمه؟

. قلبي وربي راضين عليك.

يردد بصوت عال: الحمد لله .. الحمد لله... ينظر لساعته وقد انتصف الليل بقليل... يرى الممرضة الآسيوية تقترب من غرفة العناية المركزة... تمسك يد أمه... تقلب في ذلك الأنبوب الممتد ما بين الجهاز وبينها... تحرك يدها... تنظر لتلك الإشارات في الأجهزة المعلقة...

يطالعها هو... يتمنى لو يسأل... لو يعرف...

لكن السكوت يحتويه، فيسكت معه حين يجره إليه... تخرج الممرضة... يتابعها بعينيه... يعاود النظر للأم... صدرها يعلو ويهبط بصورة مستمرة... والعين تغلق من جديد. يقف... يدور في زوايا المكان... وحده موجود معها.. الإخوة والأخوات في بيوتهم،هو من طلبت وجوده، وهو من نسي من أجلها وجوده... يسمع صوت شخير يصدر منها... ينظر إليها وهو في مكانه... يتذكر...

قبل أسبوع كان لها حديث معه:

. اسمع يا وليدي.

. نعم يا الغالية..

. أنا عندي مبلغ من المال كان من أبيك الله يرحمه.

يستغرب في ذاك الحين من مضمون الموضوع..
لتستكمل هي حديثا بدأته..
. هذا المبلغ أوصيت لك منه بالثلث حسب الشرع...
يقاطعها قائلا
. (يُمه)
تستمر دون أن تستجيب لمقاطعته..
. هو حق لك... تتذكر حين رممت البيت من مالك الخاص وحدك وتذكر كيف كنت الوحيد الذي تغطي حاجياتي كلها من دواء وعلاج وكسوة وطعام؟ وتتذكر أنك تتكلف مصاريف السفر رافضا أن أدفع أنا شيئا؟ وتتذكر...
يقاطعها بحدة
. هذا واجبي يا أمي..
. نعم. واجبك ولكنه في ذات الوقت واجب إخوتك وأخواتك الآخرين، ولكن أي منهم لم يقدم لي ما قدمته أنت..
. لكن...
تقاطعه هي بإصرار..
. هو لك. فأنت المختلف عنهم في كل شيء... عطاؤك.. كرمك..وصلك وعنايتك بي...
. ولكنك يا أمي قد تخلقين بيني وبين إخوتي عداوة... تمسح على رأسه بحنان بالغ

. لا تحمل هما، سأرضيهم بطريقتي الخاصة.
يتنهد وهو يتذكر ذاك الحوار... يقترب من سريرها... يضع يده على رأسها... تفتح العين وتنظر إليه... يقبلها مرة ومرتين... يشعر بأن هناك دمعة ستفر وستعلن الحزن صارخة بعمق... يبتعد حتى لا تلمس حزنه... يشعر بمن دخل المكان... ينظر إليه الطبيب العربي دون التفوه بكلمة... يسير حيث المريضة ويخرج مسرعا بعدها... يلحقه في الممر...
يسأله عن الحالة يرد بنبرة من تعود الأمور كلها وبات ميت القلب: ادع لها بالرحمة، وغادر... أدرك أن النهاية قادمة وأن الموت حلق في سماء الغرفة... يسرع إليها خشية فوات الأوان.. يعاود النداء: (يُمه ... يُمه...) يريدها أن تفيق وأن تكون معه وألا يغافله الموت ويأخذها منه... يحاول أن يصارع المنية، يريد أن يطيل الحياة، وأن يمد في عمرها... أخذته العاطفة بعيدا جدا عن مسار العقل وأن كل شيء بإرادة الرب وأن الموت إن قدم لا يستطيع أن يستأخره ساعة... يشعر أن داخله يبكي... يصرخ فيه إنها إرادة الحياة... نعم إرادة الحياة ودرب كلنا فيه سائرون، والحمد لله أن أطال الله في عمرها وعاصرت أبناءنا... يرد على نفسه بصوت مسموع: ولكنه ألم الفراق... ماذا أفعل بالوله حين يزورني!!
يدرك حركة صادرة من السرير... يلتفت...

يرى نورا يشع من وجه امرأة لا تترك السجادة أو كتاب الله العظيم... يقترب منها...تفتح العينين بضعف... تنظر إليه بشوق...تحرك ببطء يدها اليمنى... يمسك بها بكلتا يديه... تبتسم... وتبتسم ويشعر بلفحة هواء صادر من عمق الفم...

لتغمض العين بعدها وتغادر..

الرجل الثالث

يمضي في طريقه... يدخل الدائري الرابع... يشعر بالملل فيه ومنه، فهو الدائري الأزمة في المرور، والأزمة في العبور خاصة لمن يرغب في السرعة من الحزن والملل... يضيق به الطريق... يلتفت يمينا ويسارا لهؤلاء المسرعين والذين يخطفون الأبصار في سرعة قيادتهم... دقات قلبه متعالية ونفسه يضيق، وهواء المكيف يثيره مرات...

مرة يشعر ببرودته، ومرة يشعره بحرارة تضيف لنيران صدره مزيدا من الحرارة... أخيرا تنفس الصعداء ووصل منطقة الفيحاء... وقف قبالة البنك ينتظر أن تعبره الضيقة والآلام وحرقة الأعصاب... ينتظر أن يزوره الهدوء حتى يدرك ما سيقوله أو ما سيسمعه... دقائق تمر وهو في مكانه لا يحرك ساكنا... يعد هؤلاء الداخلين للبنك يزداد العدد وسيؤخره في طابور الانتظار... فيقرر الدخول... يستقبله ذلك الشاب عند المدخل، يستفسر منه سبب الزيارة ويشير له لماكينة الأرقام... يمسك الورقة الصغيرة في يد ويجلس على أول مقعد للانتظار... بجانبه مجموعة من الرجال... يسمع صوت الشيخ وهو يعلق على العمل بأسلوب مضحك يعطي الجو والمكان راحة تنبعث من أساليب (شياب الديرة) يبتسم له من بعيد لكنها ابتسامة صفراء، فغليان الداخل مازال يفور وإن امتص الشيخ بعضا منه... يزفر زفرات تنم عن ضيق بيّن...

يقف... يطلب كوبا من الماء...يشربه دفعة واحدة...يصله حديث اثنين

. وهل البيت (يسوى) ؟

. والله يا أخي عجيب وأم العيال تصر عليه..

. الله يسهل لك هذه المعاملة

. (آمين انشالله يا الأخو...)

يرى نفسه دون تعمد يبتسم بتهكم...آه لو تدرون حالتي... يجلس على كرسيه مرة أخرى...ينظر للجالسين...يسأل نفسه كم واحداً قبلي؟

يعد واحد... اثنان... ياه سبعه...فيرى نفسه قد مل الانتظار أو مله الانتظار... يتمنى بكل قوة لو استطاع مغادرة المكان... لو ينفخ بصورة مسموعة... ويقف... يسير حيث طاولة صفت عليها مجموعة من المجلات، يقلبها بلا مبالاة، ويرميها جانبا ويعود لمكانه وقد جلس به آخر، فيتجه لمقعد شاغر جاره فيه الشيخ الكبير... يجلس بصمت...ينظر إليه الشيخ المرح، يسلم عليه... يخجل من نفسه، كان من المفروض أن يبادر هو بالسلام... يطالعه الآخر... يتعجب من كمية الحيرة والتوتر البادية عليه... يضع يده على ركبته بحنان بالغ...

(خير انشالله) اهدأ قليلا... ينكس رأسه على استيحاء منه... يسمعه يردد: لا حول ولا قوة إلا بالله، (ما فيه شي

يستاهل يا ولدي)

يهز رأسه بصمت... تمر دقائق... يعاود عد الموجودين... ثلاثة أو أربعة... يستغفر ربه بصوت مسموع... ينظر إليه الشيخ... فالسؤال مازال معلقا ولم يعطه إجابة، وبإلحاح العمر المقترب من الثمانين يسأل من جديد لماذا هو على هذه الحالة؟

يلتفت صوبه...بحاجة للحديث هو...بحاجة لإزاحة كم الحزن عن صدره... بحاجة لمشورة رجل مثله...يدير جسده كله ناحية الرجل... يبادره الآخر بنصيحة أن لا شيء يهم ولا شيء يدعو لأن نستنزف أعصابنا، وأن كل مشكلة ولها حل وكل ضائقة ستمر، وكل ألم سيعبر... يهز رأسه اقتناعا أو خضوعا...

وتمر لحظات صمت...يطالعه الشيخ بنظرات العطف والانتظار، فيرفع رأسه حيث الآخر...

والله يا عمي... يصمت بعدها ثوان والآخر كله آذان مصغية، وكله انتباه مشدود..

. وصل لي الإنذار الأول..

. ماذا تقصد بالإنذار الأول؟

. تخلفت عن سداد أقساط البيت.

بتأثر يجيب..

. (أفا)..غلط يا وليدي... قد تخسر البيت هكذا وتخسر سمعتك..

. ماذا أفعل بضيق ذات اليد..

. الله المعين..ماذا ستفعل الآن؟

. جئت اتفق على طريقة للسداد..لعلي أجد حلاً لمشكلتي..

يعتدل الشيخ الكبير في جلسته ويخاطبه بجدية وخبرة الكبير

. شوف يا وليدي... البيت مقصد كل رجل وملاذ للأسرة وحماية لها من الذل ودليل للاحترام في المجتمع... والبيت هو الراحة لك ولمن معك... ومن لا بيت له كمن لا وطن له... ومهما كانت الظروف فرط بأي شيء إلا البيت... واجتهد كي لا تخسره.

يصمت برهة... ثم يعاود الكلام، وأنا مثل أبوك، سأساعدك في تسديد الأقساط المتخلفة وسددها لي كما تشاء وفي أي وقت تشاء وعلى دفعات مريحة جدا لك...

يقاطعه

. ولكن..

يكمل الآخر حديثه دون إعطائه فرصة الاستمرار في المقاطعة

. أنا يا ابني لا وريث لدي... لي ابن واستشهد أثناء الغزو العراقي اللعين على الكويت، وأنا رجل مقتدر وغني، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة...

يهز رأسه وقد ارتاح باله وأزيح كم هائل من الهم عن صدره ليعود الشيخ لمرحه وأنا مثل ما أنت شايف رجل في الدنيا ورجل في القبر لعل بمثل هذه الأعمال يفرج الله بها عني كرب يوم القيامة..

يسمع جرس الأرقام الالكترونية تعلن رقمه... يقف ويشاطره العجوز الوقوف ليدخلا معا للموظف المختص وقد هدأت روحه...

الرجل الرابع

وقف يطل من الزجاج على غرفة المواليد في آخر الممر يطالعهم بنظرات فيها شغف أبوي... ترى هذا أو ذاك أو ذلك في أقصى الغرفة هو ابني؟

ياه!!! مرت عشر سنوات مذ ارتبط بزوجته... ابنة خاله... مرت تلك السنوات بطولها وعرضها بأفراحها وأحزانها بحلوها ومرها... سنوات عشر فقد فيها الأمل بأن يكون أبا... وسنوات من البحث عن العلاج لأزمة الإنجاب وسنوات من الانتظار ومن التساؤلات باللسان والنظرات من الأقارب والمعارف والفرحة منذ أشهر حين بشره الطبيب بحمل الزوجة وانتهاء مرارة البقاء دون أولاد ودون أن يعج البيت بهم... يتنهد بعمق

والآن تحقق الحلم... ترى أيهم ابني؟ يبصر الممرضة تقترب من باب الغرفة... تنظر إليه مبتسمة... يسألها عن الابن المنتظر... تسأله الانتظار فترة... تعود وهي تجر السرير الشفاف... يقترب من السرير، يطل على هذا الصغير الممدد أمامه... يلمسه بأصابعه بنعومة بالغة خشية إلحاق ضرر ما به... يشعر بحب جارف يحتويه لهذا المخلوق الصغير... يطلب من الممرضة إعادته حيث كان.

يغادر حيث غرفة الزوجة... يقبلها على جبينها... أحبك يا أم ابني... تبتسم بود مرددة: أخيرا... يرد عليها بحنان: الحمد لله

على كل حال... سألنا الله وأجاب وحقق الحلم بعد الصبر... ارتاحت الأرواح المتعبة منذ سنوات من ملل البقاء دون أولاد ومن صمت المكان داخل البيت.

يرن جرس الهاتف النقال في يده... ينظر لشاشته... أمها العجوز المريضة على الطرف الآخر تسأل عن الوالدة والمولود...

. بخير يا عمتي الاثنان بخير..

. ومتى ستغادر المستشفى؟

يطرح السؤال المتلقى على الزوجة... تجيبه: غدا حين يرى الطفل طبيب الأطفال..

. غدا يا عمتي...

يغلق الهاتف ويمسك بيد الزوجة... فرحته لا توصف، وفرحتها أشمل وأعم... يودعها . وقد احتواه نوع من السلام لم يعرفه من قبل . على أن يأتي صباحا لأخذهما معا.

يركب سيارته ويذهب مباشرة لبيته وغرفته... يجلس لحظات ثم يغادرها حيث الغرفة الصغيرة الجانبية التي طليت باللون الأزرق الفاتح، وعلق في سقفها أنواع من الفراشات الملونة والسرير الصغير ذي الحواجز الأربعة يتوسطها وأضواء مختلفة الأشكال والأحجام والألوان أخذت أماكنها في الحجرة الصغيرة، والمشاعر المختلفة المفعمة بالحياة جذبته لعالم جديد ملون الوجود، هامس الرائحة... حاول الإبقاء على صورة

ابنه في ذهنه قدر الإمكان وحدث غريب يحتويه للمرة الأولى وخيال يبعده قليلا عن أرض الواقع، لكنه يعود للواقع من جديد، فواقعه وردي جميل... يحاول الخروج من الغرفة الصغيرة لينام... تسلل بقوة حيث مرقده وعانق وسادته يربكه التفكير في لقاء الغد ومعانقة الجزء الآخر من روحه...

يطل الصباح معانقا بأشعته أطراف السرير... ينظر للساعة... اقتربت من الثامنة... يلقي بغطاء السرير جانبا ويهم بأخذ حمام بارد بنشاط ملحوظ وهمة عالية... تنظر خادمته نظرات استغراب لذلك الطارئ الذي يعيشه... تلقي عليه تحية الصباح، وتسأله أن يتناول الفطور فيرتشف كوب الشاي على عجالة ليغادر البيت حيث ذلك الوديع القائم في أحد أجنحته... يدخل الغرفة يربكه شكل الزوجة واحمرار العين وصوت النحيب الداخلي... يسألها في لهفة وفزع: خير... ما بك؟

نظرت إليه نظرات عطف ورحمة ولا تجيب...

يعاود السؤال وقد دمره إحساس بالخوف على المولود... ماذا حصل؟ هل ابني بخير؟

تبتعد بأنظارها عنه... يهز كتفيها بيديه... أجيبي... هل هو بخير؟... مات!!

تسارع بالرد: لا...لا.

يتنفس الصعداء... يمسك وجهها بحنان...ما بك؟
تصمت أكثر وتعاود البكاء... تمر فترة عصيبة عليه وهو يجهل الحدث...
. اخبريني..حبيبتي
.كان طبيب الأطفال هنا منذ لحظة و...
يلفها الصمت ليبادر هو
. طيب؟!
. وقد أخبرني شيئا
يعود الصمت فارضا وجوده أكثر ويزيد من ندوب الروح والنفس... بخوف يسأل: ماذا أخبرك؟... بتردد تتكلم والروح تتفطر
. أخبرني... أخبرني أن ابني... أقصد ولدنا فيه نوع من الإعاقة...
بدهشة يسأل
. إعاقة ؟ أي نوع من الإعاقة ؟
ماذا تقصدين؟ أجيبي الله يخليك
تغطي وجهها بيديها الاثنتين...
(مادري ... مادري)
يغادر الغرفة حيث ركن الممرضات... يسأل الممرضة بعصبية واضحة عن طبيب الأطفال... تشير إلى غرفة في آخر الممر

يسرع حيث الطبيب... يراه يحدث آخر... يعرفه بنفسه وبأنه زوج المرأة في الغرفة رقم ٨ ... ينظر إليه الطبيب بهدوء ويجلسه على الكرسي أمامه فقد أدرك سبب مجيئه...

ابنك... ربما... ربما يكون من فئة(الداون ساندروم)... ينظر إليه باستغراب يدل على عدم فهم... يحاول أن يفسر... إنه نوع من الإعاقات الذهنية... أخذ الطبيب يسترسل في كلامه، لكن صوته ما عاد يصل إليه، فالجرح أعمق من أن يعالج، وشعور باقتراب من الموت من خلال اليأس حاوطه.

الرجل الخامس

يلقي سنارته . وهو يتكئ على حافة مركبه الصغير . شارد الذهن... ضائع البصر، وصفحات الماء تتلألأ صفاء وهدوء، وبعض من طيور النورس تشاركه وحدته... يرن هاتفه المحمول... ينظر للشاشة، صديقه القديم... يقفله حالما يصمت الهاتف... يريد أن ينفرد بذاته ونفسه... ينشد الهدوء والصمت في عالم يضج إزعاجا وصخبا...

يفتح الثلاجة الزرقاء ذات الغطاء الأبيض... يخرج منها ماء... يشربه بروية ودون استعجال... يصحو من سبات التفكير ورحلة العقل حين أحس بالسنارة على وشك الوقوع من بين يديه... يعتدل في جلسته ويعيدها لوضعها الصحيح... يقترب من الراديو الصغير المعلق في سقف المركب... يديره... تزعجه أخبار العالم وما يجري في لبنان... يغلقه ليدير المسجل على أغاني الخالدة أم كلثوم...

يسمع أزيز طراد يقترب من مركبه... تتحرك صفحات الماء وتهتز بتناغم عجيب... يسمع من بعيد صوت أحد الرجال يقول بصوت عال: (السلام يا الأخو..) يرفع يده بالسلام ردا على تحيته دون التفوه بكلمة، ليعود إليه هدوء المكان... ينظر للماء...يدنو منه أكثر... يراقب حركاته محاولا الولوج لأعماقه ويتنهد.

ينظر لساعته... مازال النهار في أوله وما أطول النهار في

صيف البلاد...اقترب من الستين هو وقد تقاعد منذ سنوات قلائل... قتله الفراغ وأبادته الوحدة منذ رحيل الزوجة وزواج العيال...

حديث أخته يطل عليه من بين صمت الكلام...فهد، لا بد أن تتزوج ... يتذكر كيف ضحك آنذاك .

ورد، وهل من المعقول أن أتزوج ثانية؟!

. (نعم يا خوي ..) أنت بحاجة لمن تشاركك حياتك الباقية وتعتني بك...

. ومن تلك التي سترضى بي؟

تضحك أخته بثقة ..

. الكثيرات...بنات الحلال كثيرات يردن الستر...وأنت ظروفك مناسبة وحالتك جاذبة..

رد عليها بقناعة وتعقل..

. صعب أن يبدأ الرجل حياته من جديد مع أخرى ..

. صعب عليك أنت، لكن هناك من يبدأ مع ثانية وثالثة والأولى مازالت موجودة في حياته.

. أنا غير يا أختي ...

يزعجه صوت النورس الجائع...جلس على حافة القارب يرتجي طعاما... يخرج له قطعة بسكويت... يأخذها ويغادر... يعاود فتح هاتفه... لا جديد فيه... يلقي به جانبا، ويعاود رحلة

الذكرى..

. يا أختي أنا يشغلني الحداق، والصيد، ووجود الربع، والعيال...لكن بداية حياة جديدة صعب يا حبيبتي .

. والله لو يأتي النصيب لن يرده شيء.

يضحك بصوت عال.

. جاء النصيب زمان وغادر...

أم كلثوم تصدح بأغنية (فات الميعاد) ليرد بصوت مسموع: الله، الله يا كوكب الشرق... تتحرك السنارة في يده...يسحب الخيط... سمكة جيدة نوعا وحجما... يلقي بها في السلة بجانب أخريات... يغير الطعم ويلقي بها مرة أخرى في البحر.

يأخذ مجلة اشتراها مع أغراض البقالة... يقلب صفحاتها... يشده موضوع ما يعيده من هواجس العقل لعالم مختلف... ينظر للسماء... الشمس ساطعة، وقد حان موعد الصلاة... يصلي حيث مكانه متحريا القبلة، ويجلس يدعو الله طالبا الصحة والستر له ولعياله... يترحم على أم العيال...

(والله يا فهد لو الله يفكنا من البحر...)

يتذكر كيف كانت الزوجة تتضايق من كثرة خروجه للبحر خوفا عليه أحيانا ومللا أحيانا أخرى...

يا الغالية، أفضل من الوقوع في الخطأ... يتنهد ويخاطبها من بعيد (شفتي يا الغالية اشلون البحر حفظني من الضياع

بعدك...)

تتحرك السنارة للمرة العاشرة بين يديه... ينظر للكمية... يحمد الله على رزق الله وفضله، ويتكلم بصوت عال: سيكون لغداء غد حين يزورني الأولاد والبنات وأولاد الأولاد والبنات... يتنفس بعمق وكأنه يشم رائحة السمك المشوي (مطبَّق) السمك الذي يحبه وينادي بصوت عال: الله !! وينك يا أم العيال والله ما كان فيه أحد يسوي المطبق غيرك، ويقولون تزوج بعدها ؟!!

يشعر بالشمس وقد أصابها خجل الغروب وتريد المغادرة على استحياء... يلملم أغراضه ويتوكل على الله ليشغل المحرك ويغادر حيث اليابسة...

استسلام

دارت بها غرفة الطبيب المختص في مستشفى مكي جمعة... أحاطها الزوج بحنان وخوف اختلط فيها نوعان من الرعشة: رعشة الخوف، ورعشة الصدمة... بعد مرور أسابيع متنقلة فيها بين حجرات المستشفى ومواعيد أوقفت تدفق الهواء داخلها أعلنت النتيجة (سرطان) مرادف الكلمة لكل من تصل إليه أحرفها معناه النهاية والموت القريب... كلنا سنموت يوماً لكن الفرق أن رحمة الله بنا جهلنا متى وكيف... بينما مع هذا المرض يجعل شبح الموت يطل علينا من خلال الأيام القادمة ضاحكاً... تتظاهر بالهدوء لكنه الهدوء الذي يطوي تحته ناراً لا تعرف الانطفاء... نارًا تشعل معها جسداً يحتضر وعقلاً سرعة التفكير فيه فاقت قدراته وقلباً هده الخوف من الآتي...

أجلسها الزوج على الكرسي لكنه أيضاً شعر بنوع من الدوار يجهله... جعله يجلس قبالتها ممسكاً بيديها الاثنتين، وبكاء داخلي أخرس كلا منهما... يخرجهما من حالة الذهول والصمت... صوت الطبيب وكأنه قادم من آخر الطريق... صوت متقطع قائلاً :

لابد أن تأتي غداً لبدء العلاج... سيكون عبر مراحل... سنبدأ بـ ... يضيع صوته...

لم تعد تسمعه... الصدمة من المرض والخوف من الغد، وكمية

حزن كبيرة تحتويها والوصول للسلامة وهم وهي متجهة للنهاية... لا محالة!! لم تعد تسمع أو تعي كل ما تفكر فيه... وقع الخبر على أمها... يتم طفلتها بنت العامين ... يضغط الزوج على إحدى يديها، يخرجها من جمود الشرود الذي علق بها يعيد إليها توازنها قائلاً: أنت مؤمنة ولا راد لقضاء الله، فلا تيئسي... اعتمدي عليه سبحانه...

تنظر إليه نظرات زائغة اختفت فيها ملامح وجهه وخطوط المكان الذي تجلس فيه.

يسألها الطبيب: غداً مناسب لك ؟

تنظر ناحيته... فاتها المقصود بالغد، ولا تقدر على الرد... يأخذ الزوج الرد وقراره

نعم. سنكون هناك غداً صباحاً... يقف الزوج... ترفع رأسها ناحيته... لا دموع لبكائها، فالداخل ينزف وجوماً وحزناً، لكن النظرات تاهت وعلقت في فراغ لم تقدر على السيطرة عليه، وسؤال يئن داخلها (لماذا)

منذ عام تخرجت وكانت قد تزوجت قبله وأنجبت... مازالت تحلم بالأبناء الستة الذين رغبت بهم... مازالت تحلم بالبيت الذي سيبنى لا حقًا... مازالت عبارة أمها حين أنجبت ابنتها ترن في أذنها

(إن شاء الله تشوفينها عروس)

مازالت ومازالت ... تخاطب الروح المتألمة:
كان العمر ممتداً فأنا في العشرين وبداياته كيف انتهى العمر في لحظة... يسحبها الزوج بعد أن شعر بضيق الطبيب من وجودهما فأعداد المرضى المنتظرين في الخارج كثيرة...
تسير بجانبه... وصلت لآخر عنبر... تتلفت حولها... العديد من الأشخاص يعبرونها ويقابلونها... ينشرون بعبورهم رائحة المرض وأنين الموت...
المفترض أن أزوج الابنة لا أن أجعلها تضيق ذات يوم لتدرك غدر اليتم ولعنة الموت...
يفتح باب سيارتها لها... يدخلها... يجلسها... يغلقه بعدها، وهي مازالت على صمتها... لاكلمة... لاحركة... وكأن الموت سلبها منه مبكراً...
يتنفس بعمق وضيق... يلتفت ناحيتها... الصبر الجميل حبيبتي... يردد عبارة يدرك جيداً أنه لا يستطيع أن يصلها هو أو يوصلها لها...
يحرك السيارة... يضيع في شوارع الديرة... لا يريد الذهاب للشقة... لا يريد الانفراد بها حتى لا يظهر لها ضعفه وخوفه وتردده ....
يسألها: نروح مطعم ؟
لا ينتظر منها جواباً... يقرر الذهاب للمطعم في شارع

البدع... المسافة طويلة ما بين المستشفى والمطعم، ولكنه بحاجة لوقت...

لوقت يسترد به بعضاً من عافيته، ورد فعله وهدوء أعصابه... هي بحاجة اليه...

الصبر . ليس لدي خيار آخر ... فالغضب يعتريني... يقف في مواقف قبالة مجموعة من المطاعم... ينزل ناحية بابها... مازالت قد أهملت الحديث وشربت السكوت حتى الثمالة... يفتح الباب لها... هي في عالم آخر... ينزع يديها المرتبطتان معا بقيود حديديه... يطلب منها النزول... الجسد تحجر وتصلب... تنظر إليه... مازالت العين غائبة عن الواقع، نظرات لا تدرك معها المكان أو الأشخاص... (يالله ياالغالية ... انزلي)

تستجيب بحركة بطيئة... يدخلان... ينتقي زاوية بعيدة... يتصفح قائمة الطعام، يختار له ولها... تعوذي من الشيطان... لابد من بارقة أمل... تنظر إليه حين نطق بالأمل... هناك تجارب عديدة لأناس عولجوا وشفوا... نظراتها مازالت معلقة به... هي أزمة مؤقتة وستمر ونعبرها بعون الله... تشعر بقطرات من الدموع تصافح الخد...

استعيني بالصبر... سأشرح لك ما قاله الطبيب ... لاشيء يستدعي كل هذا الألم واليأس... لا تستسلمي... تتسع عيناها عجباً من كلامه فالذي يده في الماء ليس كمثل من يده في

النار...

لن أتخلى عنك... سأفديك بروحي...

حديث الداخل يسيطر عليها، وحديث النساء يرن في مسامعها... الرجل يدفن زوجته وعينه على أخرى... ستتزوج وتنساني، لا رباط يقيدك بي للأبد... أبحرت في بحر متلاطم من اليأس والخوف والصراع ...الأم والابنة

نفق مظلم يحيط بهما... خوف عليهما من صدمة معلومة مرضها وحقيقته.

يأتي الطعام... يوضع أمامها... يطلب منها الزوج الأكل... ولكن لا إحساس بالجوع ولا رغبه في الأكل...

يقلب هو طعامه بشوكته دون رفعها لفمه... يلقي بها جانباً، يتنهد، يقول:

حبيبتي،لم اليأس ؟

لأول مره تتكلم بعد أن غادرت الصمت

قراري (يالغالي) أن أموت بسلام.

تصمت برهة.

مازال ينتظر المزيد... يريد أن يفهم حتى لا تصل إليه المعاني محرفة...

أريد أن استسلم للمرض... لا أريد علاجاً، لا أريد أدوية وسريرا أبيض، لا أريد مواداً كيميائية تعذبني وتغير من

شكلي... لا أريد شفقة من أحد... لا أريد أن أعبر ممراً أُدرك جيداً نهايته...

دعوني أموت بهدوء...كما أنا... خلوا سبيلي للموت... نهايتي الحتمية دون قيود أو تردد.

تصمت هي.

لا يملك هو الرد على قرارها... أخرسته المفاجأة فعجز أن يشير لها بأي حل ...

انحراف

أنت غبية.

تذكرين كل دقائق الأمور التي طرأت على زوجك وأحدثت فيه انفجارا من التغيير وترفضين الشك فيه!!

هكذا حدثتها إحدى صديقاتها بغضب واضح وصريح... تدير وجهها للجهة الأخرى...

ثلاث من الصديقات تجمعهن أيام دراسة وعمل ومراحل زواج... هن أقرب للأخوات

تعاود ليلى الحديث: ما بالك يا هدى ؟

اصحي قبل فوات الأوان .

هدى : ولكنة مازال يحسن معاملتي...

ليلى: بصوت عال... وإن يكن .

هدى : ماذا أفعل ؟

ليلى (بغضب أكثر) : راقبيه... تفحصي كل ما حوله: ثوبه ... رائحته... محفظته... جواله

هدى (بتوتر) : لا... لا... لا يمكن أن أفعل به ذلك .

تجرها ليلى من كم القميص... ما بالك يا غبية؟ أنت تقولين أنه يكثر من (المسيجات)

ترد هدى (وقد أطرقت برأسها): نعم .

وتقولين: إنه بات يسهر خارج البيت كثيرا .

تتنهد هدى قائلة: أجل .

وتقولين: إنه يعتني بنفسه كما الحريم .

ترد هدى بغضب واضح: نعم... نعم

ليلى (بعصبية): وماذا تريدين أكثر من تلك الأدلة ؟!! أن تجدينه مع امرأة في فراشك؟

تقف اعتراضا... لا.. لا أظن أن محمدا يفعل ذلك بي... تفر منها دمعة حزن... تقف الصديقة الثالثة محدثة ليلى بهدوء: كفاك، دعيها في حالها... ترفع ليلى يدها معترضة في وجه سعاد:أنت (فكينا) من برودك... الثلاثة يجلسن مرة أخرى... تمر لحظات صمت تشرد هدى عبر زجاج نافذة المقهى حيث الشارع العام... تعميها أضواء الشوارع والسيارات العديدة... تشعر بيد ليلى تمسك يدها الممدودة على الطاولة... أنت تزوجت منذ ثلاث سنوات وأنا سبقتك بسنتين... تضحك ..أكبر منك بيوم... تنظر لهدى وقد اعتلى الوجه عبوس بيّن... تحدثها قائلة: لا تحزني يا رفيقة العمر، لكن انتبهي.

تنظر هدى لعين سعاد... تستنجد بها، لكن سعاد التزمت الصمت، ولم تعد تدري إلى أي جانب هي تقف... تنتبه ليلى للصمت الذي لف المكان... فتعلق: يا رائعات، الزواج مسئولية والزوج ملك للزوجة والبيت والعيال فيجب أن نحافظ عليه وعلى قدسيته، ونحن ملتزمات، فلم نخسر البيت

دون ذنب منا ؟! يصر الصمت على البقاء والسيطرة على الموقف .

تدخل هدى الشقة في الدور الرابع حيث السكن... تطل على ابنها الصغير وهو غارق في نومه... تطالعها الخادمة متسائلة إن كانت تطلب شيئا... تتجاهلها... تدير الخادمة ظهرها حيث غرفتها...

هو غير موجود كما اعتاد منذ فترة طويلة... تدق الساعة دقاتها الرتيبة مقتربة من العاشرة مساء... تدنو من هاتف البيت... تتصل به... جهازه مغلق... تعاودها الشكوك وحديث صديقتها ليلى يرن في رأسها... تجلس على الكنبة الحمراء في عرض الصالة... تفتح التلفاز... لا تستطيع هي أن تتناقش معه فيما يقلقها... هكذا تربت وهكذا ترعرعت.. احترام الزوج حق مقدس والاقتراب من خصوصياته أمر مرفوض... تمر أكثر من ساعتين وهى في ذات المكان... تسمع مفتاح الباب وصوت الباب حين يغلق...ينظر إليها قائلا: مساء الخير . تقترب هي منه رغبة في الوصول لرائحة ما... تبصر لونا احمر علي طرف (الغترة)... يدير وجهه عنها ويبتعد... تشعر بانهيار الكون من حولها... وحديث الصديقة (ماذا تنتظرين أكثر من هكذا أدلة ...) تقف حيث هي، تعمل على تدريب النفس على الضبط والسيطرة... تسمعه يهمس في هاتفه المحمول...

تندهش أكثر... وتموت أكثر ... وتخاطب ذاتها:
رباه !! مستحيل أن أمر بتجربة حمقاء تعبث في حياتي فتحولها إلى رماد تذروه الرياح... ماذا حصل وما الخطأ الذي اقترفته حتى يدنو من أخرى... وما الذنب أو التقصير الذي جنته يداي !! أسئلة تطيح في العقل وتلقيه جانبا... أسئلة تعمل على تحويلي لمجنونة لا عقل ولا منطق لها...
تدور في الصالة... لابد من حل... ستفكر في شيء... تدنو منه... تراه يطالعها بنوع من الخجل المغلف بالشعور بالذنب... يتوسد فراشه... تجلس هي في قبالته... لا يملك هو الجرأة للنظر حيث هي.
تنظر حيث محموله على الشاحن حين يرن... يغلقه بسرعة دون الرد على المتصل، وصوت ليلى يعلو في أذنها (غبية أنت إن تجاهلت الأمر أكثر...) وقرار يدور داخل النفس... ستقدم غدا على إجلاء هذا الغموض والشك وإلا لتحولت لمختلة... يتظاهر بالنوم... وتتظاهر هي بالهدوء المشحون حمى داخليه...
يطل الصباح وقد وصلت به الليل بينما غط هو في نوم عادي... تراه بعد استيقاظه يقف عند مرآة الممر المؤدى لمدخل الشقة... يطيل النظر لوجهه... تتساءل: عنايته أشبه بعناية امرأة... لا بد أن تقطع الشك باليقين، فحياة الأشباح

تلك مهلكة... ستفكر في شيء لعل الوصول للحقيقة أيا كانت أرحم من ذبذبات الشك الحادة...

يخرج هو... وتخرج هي بعده... تمر ساعة لا تدري كيف عبرت دقائقها في مكتبها... تدير رقمه المباشر... لا أحد يرد... تتصل بالبدالة يجاب على سؤالها بأنه لم يداوم اليوم... تشتعل النيران داخلها أكثر، وصوت ليلى يعلو حدة (أنت غبية ... هل تدعينه يرحل هكذا عن حياتك !! هل تتركينه يبتعد ؟)... لا. لابد أن أصلح الأمر...

تتصل بليلى وهي تمنع صوت النحيب أن يفرض ذاته... تشعر بها صديقتها من الجانب الآخر... ما بك ؟

هدى: اتفقت على أنه لابد من الوصول للحقيقة... أود أن أشعر بالطمأنينة... أريد أن أرتاح... تخبرها ليلى أنها في طريقها إليها... تخرجها حيث السيارة المنتظرة... تجول معها في الشوارع... تتصل بشخص ما تعطيه الرقم المدني لزوج صديقتها الغالية... يأتيها الرد بعد ساعة بأنه غير متزوج... تتنهد هدى... وتبتسم ليلى، وتتساءل: ماذا بعد .. ؟

ترد هدى: انسي الأمر .

لا تدري كيف مر اليوم، وعبث بأعصابها، ولكنه قرار بأنها ستلاحقه حين يخرج مساء.

تأخذ سيارة جارتها متعللة بعطل أصاب سيارتها تسير خلفه...

يدخل لمنطقة بعيدة بعض الشيء عن سكنها... يقف عند عمارة جميلة وراقية... تحدثها نفسها بأنواع من الأحاديث المجنونة... تصعد خلفه دون أن يحس بها... يدخل شقة في الدور الثاني...

تقف على السلم برهة من الزمن العصيب .

لحظات قد يخرج فيها وقد تمسكه بالجرم الذي حدثتها به نفسها...

حديث رهيب ...

أجبرها على التخبط بتصرفات من اللاوعي... تقترب حيث باب الشقة... يفتح الباب بتسرع ملحوظ... تدخل بسرعة دون أن تترك لمن فتح فرصه السؤال أو السماح لها... تشم في الشقة شيئا غير طبيعي، وتلمس جوا مخدرا عن واقع الحياة . وتراه يخرج من غرفة في أقصى الممر تصدم حين تراه في ثوب نسائي ومكياج امرأة عاهرة.

تدرك حقيقية مجنونة أطلت عليها باغتصاب لعقل امرأة تربت على دين سليم وفي بيئة صحيحة... تقيده مفاجأة وجودها فلا ينطق ولا يتحرك... والآخر بالملابس الداخلية يسأل من هذه ؟

تشعر برغبة في التقيؤ، ورغبة في الصراخ ورغبة في فقدان العقل...

لكنها تترك المكان وقد احتقرته واحتقرت ذاتها واحتقرت الحياة التي كانت معه.

هو ونون النسوة

حين بدأ يحوم حولي كنت أعي جيداً النوعية التي كان عليها، فسمعته سبقته قبل أن يصبح مديراً عاماً على قطاعنا... رجل في منتصف العمر... طويل القامة... ذو لحية خفيفة تطوق وجهه من الجهات المحيطة به، وشارب غزير يرتفع قليلاً عن الشفة... وفم تطل من خلفه ابتسامة مستمرة الوجود، ترحب بالكل .

وخاصة بهن وعيون واسعة حاوطتها رموش طويلة وصلت للأعلى والأسفل عدة مسافات... ونظرة حادة تطل من سواد فرض نفسه...

كنت جادة..

رئيسة القسم الجميلة التي قلما تبتسم... ربما كمن يقول (الثقل صنعة) وربما احتراماً لمكان وجد للعمل والعمل فقط... وربما خشية أن تفسر ابتسامتي بمعنى آخر...كان الرجال يحسبون لي ألف حساب...لم يتجرأ كائن من كان أن يطيل بقاءه في مكتبي أطول من المدة التي تستلزم قضاء حاجته من ورق أو عمل مشترك...

كيف أقترب هو من منطقة محرمه؟

وكيف استطاع اختراق حاجز العفاف لديّ، والدخول لقلبي ؟ ربما لشخصيته العفوية... وربما لخبرته في التعامل مع النسوة...

كان يدرك جيداً أن لكل امرأة باباً و مفتاحاً وكان لي للأسف مفتاحي الخاص الذي عرفه ففتح باباً لم يدخل منه أحد من قبل...

النسوة حوله عديدات... الكل... ولا أدري كيف سيطر على الكل!!

يرغبن في الولوج معه في علاقة، وإن كن يدركن جيداً أن الفشل فيها أوضح من النجاح وأن وقتها قصير... وقصير جداً... وأنه ملول لدرجة عدم البقاء مع إحداهن أكثر من شهرين أو أكثر قليلاً...أحببته .

ربما بقلب عذراء لم يدن منه أحد من الجنس الآخر، فكانت فكرتي عن الزواج بأنه التقليدي، وبأن الحب عبارة عن لعبة فاشلة لابد أن يكون فيها طرف خاسر، فسيطرت على قلبي وابتعدت عن جانب مزعج لم اقتنع به!!

اليوم اقتربت من الثلاثين... بكر دون تجارب... خانتني عقلانيتي حين استطاع هذا اللعوب الغوص في أعماقي وبحرفية ملعونة استطاع غزو منطقة محرمة من مشاعري...

له من التعامل مع الأخريات ما يجر به قلوباً عطشى لدخول محرابه والتعبد فيه نساء ذوات أشكال مختلفة... أعمار مختلفة... وظروف أكثر اختلافاً... منهن العانس والفتاة... منهن المتزوجة والمطلقة والأرملة... منهن الجميلة والقبيحة...

منهن المثقفة والجاهلة... قطيع مختلف الأشكال والألوان... متعدد الأجناس، لهن عنوان واحد (نون النسوة)

لا يهم من هي الفريسة... المهم امرأة تجري ناحيته، وتستجيب... ويظل قلبه قوياً وحراً... مجرد تمتع لفترة تنقضي، تذهب فيها واحدة لتدخل أخرى... وهكذا... دورة لولبية.

كانت إيمان امرأة جميلة اقتربت من الأربعين، عانس فاتها القطار أو هي أبطأت عنه بتعمد لأنها تملك كل مواصفات المرأة المرغوبة فلا أدري كيف أغفلها الرجال... المهم أنها كانت إحداهن... عربة من كذا عربات يجرها حصانه وإن كان هو الحصان... انتشر خبر علاقتها به...كانت دوماً تأتيه صباحاً من المبنى المجاور... تتهامس سكرتيراته، ويتغامز الرجال، ولم تدرك هي الحقيقة...كانت تظنه حباً قدم بعد سنوات عجاف، وإذا به فخ استنزف طاقتها فتحولت ابتسامتها الحلوة لعبوس... واختفت ذات يوم في المبنى المجاور ولم تعد تظهر، وصارت سيرتها تعود كلما وقع طير آخر في الشرك.

وقدمت سلوى... امرأة منقبة... تأتي من وزارة أخرى لا ندري من أين ! ترتشف معه قهوة الصباح كل يوم اثنين... يغلق المكتب، ويحرّم الدخول... عملية أشبه بأفلام الأبيض والأسود واللمبة الحمراء... أسابيع عدة... تهامس الجميع... ثم سكت الجميع حين اختفت، لتطل امرأة شارفت على

الخمسين... مديرة إدارة ثانية... متزوجة... كانت قد سحبته هي إلى مكتبها... يمر... يجلس...
يتحدث يضع صورتها في مكتبه... طبعاً صورة جماعية وهو يتوسطها...
طالت المدة... علقّ الجميع على الصورة، كان يضحك حين يسمع تعليقات البعض حتى اختفت الصورة ذات يوم...
أنا مختلفة ...
منطقة محرمة كما يحلو لرجال الإدارة تسميتها... نوعه لم يكن أبداً يشدني... حديثه لم يكن من النوع الذي يليق بثقافتي... أجهل لليوم كيف بدأت العلاقة... كنت حين أضع رأسي على المخدة أقسم بالله العظيم أن الغد سيكون نهاية علاقة غير مقنعة، ليطل الغد وحالما يدلف إلى مكتبي، يضحك ويهمس لي حتى أنسى قسم البارحة...ثم كانت سميحة... فتاة في العشرينات من عمرها... ممتلئة الجسد، بيضاء اللون،لم تكن جميلة...كانت أكثر ما يقال عنها (عادية) متزوجة... وضعت بنتاً منذ أشهر قلائل... تحدث الجميع عنها... كيف رآها الكل في مواضع مخجلة معه... وكيف كان يناديها في اليوم كذا مرة، وكيف سيطر عليها فصار لا يتحرك إلا بها.... حتى دخل ذات مرة عليهما أحد الموظفين وفضح الأمر في الإدارة كلها ووصل الخبر للزوج وانتقلت بعدها سميحة من

الوزارة كلها.
كنت أخشى أن يقول عني كما قال عنهن:
(مثلها مثل غيرها) لكنه لم يترك لي مجالاً للتفكير... احتل القلب البكر ذا العنفوان...
ظل التردد... هل أستمر... أو لا أستمر؟
لكن أحلامي الليلية كلها تنصب عليه وإليه...
كل حلم يرفض في صباحه الرغبة في الانسحاب منه فلا هو ينفعني، وأنا لن أشبع غرور رجل تعوّد على الأخريات.
أنا مختلفة...
لا تجارب... جادة.... ترى هل قصدت في هذا الارتباط زواج؟
لم يتطرق يوماً لموضوعه، ولم أتجرأ أنا في طلبه خشية أن أصاب بصدمة الرفض وبالتالي اغتيال الكبرياء الذي لم يمس يوماً...
حين صادفتها عنده تغير لون وجهه وابتعد عنها ونظر ناحيتي نظرة خجل... حدثت نفسي... إذاً هو يحسب لي ألف حساب... لأول مرة أحس أنه يحسب لامرأة ألف حساب...
كانت مها امرأة في الخامسة والثلاثين لا أعرف عنها أدنى شيء، إلا أن لها ضحكة تدير رأس أقوى الرجال، وحركات تنم عن أنوثة تفرض ذاتها، ومشية كأنها تعلن عن صاحبتها
(يا أرض انهدّي ما عليك قدي)

لم أكن أدري إن كانت متزوجة أو عذراء، ولا أدري محل عملها... المهم أنها أثارت في داخلي غيرة الأنثى، خاصة حين قارنت نفسي بها... وجدت أن الخسارة نصيبي... مها أثارت شكوكي... لم يجب هو على أسئلتي وخجلت أنا من إعادة السؤال... مواقف منها ومنه أصابتني بنوع من العصبية المفرطة فبدأت لا أنام، وأهملت عملي وكثر ترددي على مكتبه، خاصة حين أعرف أنها موجودة...

بدأت أسمع تعليقات الموظفين وهمسات سكرتيرات مكتبه حتى اقتربت عبارة اعتراض على وجودي حين وجودها... تنبهت للخطر القادم من الهمز واللمز، وأنني قد أفضح أمري لأصبح واحدة من أخريات يكثر الحديث عنهن فكان لابد من الهروب...

في الليل أبكي وحدي... أتألم وحدي... أدعو الله ألف مرة أن يمحوه من قلبي وفكري، وأن يعطيني قوة البعد عنه وقدرة إبعاده عن حياتي، وحين أراه صباحاً أتمناه رجلاً يعوضني حرمان قلب من عشق ووله.

مها سيطرت... غيّرته عليَّ... رأيته ينجذب ناحيتها أكثر من المعقول... بدأ وجودي يخبو... والحديث زاد...

حدّثت نفسي ذات مرة إن كنت أملك الجرأة للاتصال بزوجته كنوع من الانتقام منه ومنها ولكن اكتشفت داخلي

أشياء عدة اتجهت للسلبية... تجربة كانت مريرة... قاسية... ولعنت معرفتي به مليون مرة... ابتعد هو أكثر عني... فأنا ما أنا إلا إحداهن... امرأة لفترة محدودة... يشبع عنده عقدة الرجل، ويلهي في علاقته غروراً مسيطراً... يستمتع، ويمتع ويختفي...

أهملني لم يعد يتصل، أو يدعوني لمكتبه، ولم يعد يقترب من ممر مكتبي... أدركت لحظتها نهايتي، وأن فترة وجودي حوله انتهت...لم أقدر أن أدخل مكاناً هو فيه... تعبت نفسيتي... كان مجرد أن ألمح سيارته واقفة يثير عندي مشاعر حزن وكمية ألم... قررت الانتقال لإدارة بعيدة عن المبنى الرئيسي لأكون واحدة اقتربت منه واختفت كما الأخريات...

حين طلبت مقابلته...

مددت يدي بورقة النقل بتردد... طالعني بنظرته التي أموت عشقاً فيها، وحرّك داخلي الشوق المقيد منه... أدرك محتواها... أخذها... وضعها على حافة المكتب...

كنت أتمنى لو يشير إلى الكرسي الجانبي يطلب مني الجلوس... كنت أتمنى لو يعترض على النقل، أو يرفضه، أو حتى يناقشه معي...

كنت أتمنى لو يسأل.

لماذا...؟ وكيف... ؟

كنت أتمنى...

لكنه حرّك القلم الذي بين أصابعه... ووقع بالموافقة... صدمني، كأنه يقول لي: تخلصت منك، أو... لا شيء يهم... ارتجفت يدي حين مددتها نحو الورقة لأخذها منه... مازال يطالعني بذات النظرة... لم أقدر على السيطرة على دموعي... لم يتأثر من موقف وضعني فيه... أدركت أنني كنت دوماً مجرد حرف من حروف نون النسوة... استدرت ناحية الباب... مازال يحدوني الأمل بأنه قد يناديني... قد يعتذر... قد يطلب إلغاء قرار نقلي...

لكنني سمعته يرد على هاتفه النقال...:

(وحشتيني)

أفكار مشوشة

جلس الموظف الجديد قبالتي على المكتب الذي تقاعد صاحبه منذ ما يقارب سنه... عام مضى بكل ما فيه من أشهر وأسابيع وأيام، أعطاني الفرصة للبكاء على حال والنحيب على صدمة ما زلت أعيشها، لم أتجاوز آثارها بعد...

التفت إليه... وسيم بعض الشيء، ومرح...

وكعادتي المتحفظة بتجنبه في فترة علاقة العمل تلك... وكان الحديث مقتضبا... النافذة الكبيرة التي يركن بجانبها مكتبي تجعلني أتجاوز حدود المكان مرارا، لتطل علي منه صورة الزوج الحاضر الغائب... أن يكون زوجي ممن يقال عنهم: زير نساء... حطم داخلي الروح المرحة ومحا بهذه الحقيقة ألوانا من العواطف التي كنت أكنها له.

(إن ما تتفوهين به كذب وافتراء) مازال صراخه عالقا في ذهني... حقيقة يؤكدها لما آلت إليه تصرفاته وبرز غدره من خلاله...

لا أدري من أين تأتيني بهذه الخرافات... أسئلة غبية... أين الخرافات فيها، وهي حقائق بارزة؟

يخرجني صوت الموظف الجديد... ما باله !!

كنت طوال عام حرة في السرحان حيث أشاء ومتى أشاء.

سيدتي، كيف أطلب كوبا من الشاي ؟

نظرت إليه باستهزاء... ألهذا الطلب الملعون يخرجني من

تفكيري... أشير إليه... الجرس الجانبي دون أن أملك القدرة على النطق، لأعود مرة أخرى حيث ذاك الذي حطم دواخلي... (لم أعد أتحمل خياناتك)

كيف كان يرد علي دون أدنى شعور بالذنب أو تأنيب الضمير حين يتهمني بالكذب والجنون!! وكيف اكتشفت بعد سنوات خمس من الزواج أنه رجل كذوب !! وكيف صنته رغم محاولات الرجال الآخرين حبا به وإخلاصا له !!

وكيف يرتبط بأخريات بسهولة حمقاء وغدر بيّن !!

أيام مرت وأنا أتقلب على فراش بارد...

مقزز... والفكر يدور ويدور كطاحونة لا تكل ولا تمل... أفقدني الموقف مرارا القدرة على الصبر أو التحمل والرغبة البلهاء في اتخاذ قرار ما... يرعبني ما أنا فيه...

الموظف الجديد مازال يستخف دمه معي حين قال: مكانك استراتيجي... لابد أنك تستمتعين بالمنظر الذي يطل عليه مكتبك... أنظر إليه بحدة لعله يفهم رغبتي في الاختلاء مع الذات وحبي للصمت حتى أفكر بصورة واضحة، لكنه لا يأبه لنظرتي، ويستمر متسائلا: كيف حال المدير؟

دون أن التفت ناحيته أرد: (زين)

لا يقنعه جوابي... يسأل مرة أخرى: ما معنى زين؟

التفتُّ ناحيته بغضب فاضح وأرد بنبرة حادة:

(زين يعني زين)... يطرق بأصابعه جانب مكتبه طرقات متتالية تفقدني صوابي لأهمس لذاتي: كنت مرتاحة حين كنت وحيدة في هذا المكتب... يسأل بلؤم واضح: نعم... هل كلمتني؟

أسأله بغباء أكثر وضوحا: هل أنت متزوج ؟ يرد باختصار مقصود : لا.

أدير وجهي عنه... أقلب في أوراق مكثت قرابة الساعة بين يدي دون أن أفقه منها شيئا... أحس بابتسامة استهزاء صدرت منه... يأتيني صوته هادئا: ولكني مطلق...

أرفع رأسي... قبل أن أتكلم يكمل ضاحكا: وبدون أولاد.

شعرت باستيحاء وتساءلت ماذا يظن بي؟

يدخل العامل علينا المكتب... يضع كوب الشاي على المكتب ويضع الآخر على مكتبي... أرفع رأسي ناحيته متعجبة... أنا لم أطلب شايا... وقبل أن أبادره بالسؤال يرد العامل وكأنه أدرك حقيقة ما يجول في خاطري: هو طلب كوبين من أكواب الشاي... واحد له وواحد لك... أدار العامل ظهره لي وخرج... نظرت لذلك الذي اغتصب خلوتي ووحدتي في وقت غير مناسب، ليبادرني قائلا: عنوان تعارف... سنمكث النهار كله في مكان واحد، لابد أن تكون العلاقة بيننا إيجابية... أحدث داخلي: ولكنك جئت في زمن حرب داخلية

كرهتني بكم صنف الرجال... الهاتف النقال يرن... أنه هو... مازال يتصل حسب طبيعته، ولكن ما اكتشفته يصيبني بنوع بالقشعريرة، فأنا...ما أنا إلا واحدة من أخريات يتصل بهن... وربما أنا الأثقل دما عنده... والأكثر مللا... وربما اتصاله بي ما هو إلا أداء واجب، أو التأكد من مكان وجودي... أو اتصاله تغطية لما يفعله...

أو رد على تأنيب ضمير... ياه !! ما هذا الصراع الفكري!!

أضع يدي على رأسي... متعبة أنا، والصداع يحتد معي يوما بعد يوم لقلة نوم وأكل، ولتفكير مزمجر قاتل... يصمت الهاتف...

لأرى موظفي الجديد يقترب من مكتبي حاملا علبة (الباندول)... خذي واحدة، واشربي الشاي بعدها... أزمة صداع وتمر... أنظر إليه ببله واضح، لتفر من عيني دمعة خجلة تدل على رغبة ملحة في بكاء طويل مخنوق... بحنان يسال:

(للدرجة هذي الصداع يؤذيك؟)

بكائي يفضحني أكثر... أراه يجلس على الكرسي القريب مني.

آسف إن كنت ضايقتك، فطبيعتي المرحة الثرثارة ترغمني على اجتماعية أحبها مع الآخرين... أهز رأسي معلنة بأنه

ليس السبب... يحترم حالتي ويبتعد بعد أن قال: لا شيء يستحق بكاءك مهما كان الظرف صعبا سيختفي مع الأيام... عبارة أراحتني من الصراع الداخلي والحزن المغلف بألف من التساؤلات...

لماذا فعل بي زوجي ما فعل ؟

هل قصرت معه ؟

هل ينقصني شيء ؟

لا . إن خياناته تدل على عيب فيه هو وخلل فيه هو... مرض نفسي بحاجة لعلاج منه... يدخل العامل علينا بأوراق... يضعها أمامي ويغادر... يهرع الموظف الجديد يحملها قائلا: (أنا أعملها عنك) تمر فترة هدوء تعطيني لحظات للعودة للجدال الذي حدث بيني وبينه، ورغبتي في إيجاد حل لما آلت إليه علاقتنا ولكنه لا يفتح باب الحوار... يغلقه حال بدئه بأكاذيب واضحة واتهامات مخجلة تفقدني صوابي أكثر وتعمق إصراري على إنهاء علاقة متعبة غلفت سنوات خمس بكذب وخداع...

لكنه يوضح رفضه لما أقول أوأتخذ...

أنهيت التقرير..إلى من أرسله ؟

أفيق على سؤال الموظف الجديد... أشير عليه بمناداة العامل... يضحك... نعم... عرفت كيف أناديه... أبتسم لأول مرة...

طالعني بانبهار ملحوظ، ليقول: ابتسامتك رائعة، حرام تخفيها... أدير وجهي عنه... تعلق صورة الزوج في زجاج النافذة تطل علي بحدة... أخاطبها بصمت: لماذا قابل إخلاصي بخيانات متعددة ؟

وكيف صحوت على حقيقة مرة بأن الذي ارتبطت به وعشت معه لم أعرفه كفاية ؟

ولماذا سرت أنا على خط مستقيم معه بينما هو كان يتلوى معي؟

لا. تختفي الابتسامة... ربما، لكن أن يعلو الوجه عبوس فحرام.

أنظر إليه بجدية... هذا الضحوك الذي سكن معي مكتبي... ظروفه مناسبة، ومرحة يسهل ما أفكر به...لم لا أضرب الزوج اللعوب به؟

وأبادله خيانة بأخرى... فكرة مجنونة اعتلت ذهني... أدرت وجهي بسرعة عنه كي لا يفهم ما يدور داخل عقلي... وقفت كمن لدغته عقرب، مرددة أستغفر الله، أستغفر الله..

غادرت المكتب...

هواجس نسائية

المرأة الأولى

نظرات زائفة وغصة في الفؤاد تعيق عملية الشهيق والزفير وثقل في الصدر يحمل الجسد المنهك مزيداً من الآلام والأمراض... تجلس على المقعد في القاعة الفسيحة على يسارها تنتحب الابنة البكر ومن بعدها جلست أختها... سواد يلف المكان كله... نسوة يرتدين العباءات... صفوف سوداء تقترب منها... تقبلها... تقدم التعازي... هذه تردد (عظم الله أجرك) وأخرى تتفوه بكلمات مبهمة لا تصل لمسامعها، وثالثة تدعو الله للميت بالمغفرة والرحمة، ورابعه تتمنى أن تكون هذه خاتمة الأحزان...أنواع من الطيب تصل لأنفها... منها الخفيف، ومنها ما يصيب الرأس بدوار حاد يسانده حزن عميق يعذب النفس ويؤذي الروح...

صوت القرآن الكريم يعلو أحيانا حين يسود المكان صمت قاس، وأحيانا يخفت الصوت حين يزداد عدد النسوة في تقديم العزاء... تلتفت من موقعها... تدور بأعين شبه مغمضة في وجوه الحاضرات... قد تعرف البعض، ولكنها تجهل الكثيرات...

تلتفت ناحية الابنة حين تتفجر بكاء... تشفق عليها... فقدت الأب مبكراً، فهي مازالت في العشرين...

هذا اليوم الأول .. منذ يوم كان معنا...تحدث نفسها: رحل فجأة... آه من الموت المفاجئ!! تشعر بدمعة تفرعلى

استيحاء... حارة تلك الدمعة... ربما كان مصدرها القلب لا العين... يزداد بكاء الابنة حين تقترب منها إحدى صديقاتها... تشعر هي الأخرى بالرغبة في البكاء بصوت عال، لكنها مؤمنة... لطالما سمعت (البكاء على الميت يعذبه ...)

يقل عدد القادمات... ترفع رأسها... تطالعها لوحة كبيرة أخذت موقعاً متميزاً في الصالة...

كان يحب هذه اللوحة... هو من اختارها، وهو من اشتراها وهو من قدم إليها فرحاً يجرها من يدها

. مابك يارجل؟

. تعالي أريد أن أُريك شيئًا

. تمهل... سأقع

. أفا... تقعين وأنا بجانبك ...

يزداد الشعور بالدوار أكثر... أين أنت الآن كي لا أقع ؟!!

تتنفس بعمق... ما بال الزمان صار يأخذ موقفاً ضدي... كيف أخسر (رجلي) في لحظة غفلة مني وظلم من القدر!!

تتنهد مرددة: أستغفر الله العلي العظيم، لاحول ولا قوة إلا بالله. كيف أبعدني الهذيان عن عقلي؟!

لكنه لم يمهد لي ...

لم يمرض يوماً ..

لم يشخ أكثر ..

لم يرقد في مستشفى ..
هكذا فجأة يموت ؟ وفجأة يغادر؟
تلمح من بعيد بعض النسوة يضحكن... تشيح وجهها الجهة الأخرى مرددة بصوت منخفض: وقحات... تشعر بيد حنون تمسح على رأسها... جارتها الطيبة منذ سنوات... وجهها البشوش صار أكثر تعاسة... لم تعهدها منذ عرفتها عابسة... مشاعرها حقيقية، لطالما شاركت بكل المناسبات وها هي تشارك بالعزاء اليوم... تجلب لها كوباً من الماء
اشربي...
ترتشف قطرات منه وهي في شبه ذهول، حتى الماء أصابه نوع من المرارة... استعيني بالصبر الجميل، إن الله مع الصابرين
...تبكي هي... تردد: كان الشخص الوحيد الذي أحببت
تردد الجارة: أعلم يا الغالية ..
ترفع بصرها نحو الجارة... كان قد وعدني بأنه سيظل العمر كله معي... كيف انصرف الآن وتركني!!
. لقد بقي معك فعلاً العمر كله... ونفذ لك نفس الوعود
.كنا منسجمين... جزء مني انفصل عني
. أعانك الله ...
تبتعد الجارة بضع خطوات حين اقتربت أخريات منها... حين يكف فوج النساء عن القدوم تنتابها نوبة فزع من الشيء

القادم...

كيف سيكون الغد بدونه!!

كيف ستغدو الأيام القادمة بلا وجوده!!

كيف سيكون حال البيت والمكان والفراش !!

كيف سيكون القلب والجسد دون رائحته !! كيف سأكون أنا .. أنا بلا نصفي!!

ماذا أفعل إذا احتواني الشوق إليه ... وبحثت عنه ولا أجده!!

تقف مذعورة... ترى العيون تتطلع إليها... بعضها متعاطف... بعضها خائف عليها... والبعض ساخر من هكذا تصرف ...

تدنو الابنة بسرعة منها

. ما بك ياأمي ؟

. المكان يضيق بي

. لا أستطيع التنفس... لا أتخيل الحياة بدونه.

تبكي بصوت عال ... تضمها الابنة .. تبكي هي الأخرى بحرقة.

تعلو أصوات مختلفة للبكاء من نساء مختلفات... الكل ينتحبن لمنظر يهز الوجدان تأثراً وحزنا...

المرأة الثانية

استيقظت مبكرة عما اعتادت عليه... أخذت تتقلب في فراشها بضع مرات... ترفع اليد اليمنى حيناً واليسرى حيناً،وتبتسم... شعور بالراحة احتوى الجسد الفتي... نظرت ناحية الوسادة الخالية منذ يومين، فقد سافر إلى البحرين للالتحاق بجامعة هناك استكمالاً لدراسته العليا... اقتربت أكثر من وسادته وناحيته التي اعتاد النوم فيها... مسحت بيدها مكانه... رفعت الوسادة ناحية وجهها تنفست بعمق، تريد أن تأخذ أكبر قدر من رائحته...

يقال: (إن شم رائحة الحبيب يقوي القلب)

يا سبحان الله... تعلق رائحته في أنفها وتتغلغل أكثر لتأخذ مساحة أكبر من جسدها... تبتسم أكثر... الشعور بالشوق لذلك الغائب... يتعلق نظرها بسقف الغرفة... تراه، وتلمح تقاطيع وجهه في كل مكان... وسيم ذاك الذي تزوجت منه الأربع سنوات... لطالما استمعت للأخريات... وسامته ورجولته ...

أربع سنوات دون أن يكتب الله لي بولد...

تتحدث بصوت أعلى من حديث الروح:

أو بنت... المهم تأخذ قسماته هو، ولونه هو ، وطوله هو... تتنهد ...

كيف اشتاقت إليه اليوم وهو لم يغب طويلاً...

ربما لأنه الغياب الأول، والسفر بعيداً عن حدود مكانها للمرة الأولى... وربما هو الفراق الأوحد منذ ارتبطت به!!

تنقلب لليسار... تطالعها صورة له موضوعة على طاولة جانبية... تحدثه: أين أنت؟ اشتقت إليك؟ تحس برغبة ملحة للتحدث إليه... تنظر للمنبه الجانبي... ما زال الوقت مبكراً، قد يخيفه ويزعجه اتصالها.

ما هذا الشعور الطاغي الذي احتواها ولماذا هذا الإحساس بالوله الذي لمس قلبها الكبير ؟ تزوجته برغبة أسرتين، لكنها أحبته بجنون عذراء لم تعرف العشق قبل...

متعقل هو في كل ما يقوله ويفعله...

أربع سنوات يطبق ما درسه في كلية العلوم الإدارية من استعمال التخطيط في أمور الحياة، ولم يفسد يوماً ما اتخذه من أساليب ...

للمرة الثانية تسحب الوسادة... تضمها أكثر بحركة مراهقة قديمة من فيلم الوسادة الخالية(للرائع عبد الحليم حافظ) شعور من الفقدان لوجوده، وصوته، ودفئه يصيبها بجنون الشوق للغائب.

تتساءل: لماذا لم أذهب معه ؟

إن كان للدوام دور فلتأخذ إجازة أيًّا كان نوعها أرحم من حالة الوله الطاغي التي تعيشها اليوم... تلوم نفسها أكثر، وتفر دمعة

من عين كانت مبتسمة دائماً.... تشعر بقرصات الجوع... لكن الوقت ما زال مبكراً والخادمة لم تصح بعد... تلقي بغطاء السرير جانباً وتقترب من ثلاجة صغيرة اتخذت موقعها في زاوية الغرفة... تدخل رأسها عبر الباب... تبحث عن شيء يؤكل... تلمح تفاحة وحيدة

تقضم منها قطعة... تقف، تطل من نافذة الغرفة، تلمح البحر من بعيد... تفتح النافذة، تستنشق الهواء الخارجي... تشعر بتسرب رائحته من داخلها... يغيظها فقدان رائحته... تغلق النافذة.

الوسادة المستعرضة على السرير...

تلقي بجسدها كله ليأخذ الأنف موقعه حيث رائحته... تفتح التلفاز، تقلب في قنواته... لا شيء يشدها، فالعقل والقلب والجسد اتخذوا مساراً واحداً حيث هو ذلك الزوج والمعشوق والحبيب... تقترب من الساعة... تجادلها بغضب... ما بالك أيتها الحمقاء لا تتحرك عقاربك بسرعة حتى أتصل به ؟

تنطق بصوت عال: ما زال الوقت مبكراً على الاتصال... تفتح خزانة الملابس، تعد ثوباً للعمل وحقيبة وحذاء... تفتح الدرج لتخرج الساعة والخاتم... كل شيء جاهز .

تخاطب المرآة حيث تنظر... تضع يدها على خدها... تلامس البشرة والشعر... تبتسم، جميلة أنا... لطالما أخبرها بذلك.

تضحك بصوت مرتفع لتلك الذكرى التي عطرت جوها...
تنظر مرة أخرى في الفراش وتغادر حيث الحمام... تأخذ
(شاور)
ربما لإضاعة الوقت، أو للشعور بالانتعاش حين تتصل به
لتحدثه عن الشوق وعنفه... ترتدي ملابس العمل وتتعطر
بعد وضع (مكياج) خفيف مناسب للعمل...
تحمل الحقيبة... تلقي داخلها مجرد حفنة من المكسرات للتسلية
حال الحاجة إليها... يرن في المكان صدى رنة (المسج) حين
القدوم... تنظر للساعة... اقتربت من السابعة صباحاً...
لابد أنها من صديقتي كالعادة حيت ترسل (مسجاتها)
العديدة...
تدنو حيث المحمول على الشاحن ... ترفعه... تطالع(المسج)
إن المرسل هو... والرسالة قادمة من رقمه الكويتي...
تصدم... تشعر بانقطاع الأكسجين عن الرئة... عن الغرفة...
عن الحياة... يصيبها دوار عنيف، يدير معه المكان كله
لتختفي الصورة لقسمات وجهه في سقف الغرفة، وتشعر
برغبة ملحة للاستفراغ والمعدة خاوية إلا من قطعة التفاحة...
صدمة تلقي بها على أقرب كرسي، وحرارة تلف الجسد كله
ليتصبب عرقاً بارداً يرتجف له الجسد كله بعد أن كان منذ
بضع ساعات يرتجف عشقاً وشوقاً...

ترفع الموبيال من حضنها... تقرأ الرسالة للتأكد مما احتوته

عزيزتي أنا آسف لا أستطيع الاستمرار معك .

أنت طالق .

المرأة الثالثة

إن القلب حالما ينكسر يفقد روحه ومنطقه وثقته بهذا الكون وهؤلاء الناس... عبارة خطتها في وريقات وضعت أمامها... اقترب الزوج منها... قبلها على الجبين... لا ترفع رأسها حيث هو... هناك فجوة سحيقة باعدت بينهما... ابتعد هو كثيراً، وابتعدت هي أكثر، وحينما حاول الدنو منها أكثر كانت هي قد ابتعدت أكثر.

يجلس بجانبها... يطالع جرائده المعتاد، وهي على صمتها وسكونها...

مرحة كانت والضحكة لا تفارق مبسمها، ولكنها الأيام التي طعنت وبقسوة،والطعنة كانت منه هو...

عجيبة تلك الحياة حين يطعننا أقرب الناس إلينا

تشعر برغبة لاحتساء كوب من الشاي... تقترب من الطاولة المستطيلة والتي صفت عليها أكواب أعدت للشاي بعناية، وقطع من الكعك... صبت لنفسها كوب الشاي المعتاد دون الحاجة لقطع السكر.

تدنو من مقعدها... ينظر هو إليها... منذ زمن طويل أهملت أقداح شايه... تفهم تلك النظرة التي رمقها بها... تعود حيث الطاولة المستطيلة... تصب كوباً آخر من الشاي، وتضع قطعة من الكعك حيث الطبق، والصمت يلفها وهي التي لم يعتدها الصمت .

مستغرب هو لكل هذه الطوارئ التي احتوتها وغيرت من مسار الحديث لديها والضحكة وغلفتها بغلاف من الجدية لم يكن معتاداً عليه... لطالما تساءل بينه وبين نفسه عن سبب التغيرات السلبية، ولطالما تقدمت أسئلته بطريقة جهرية، ولطالما باءت المحاولات بفشل ذريع...

يطالعها بعيون زوج محب... يطيل النظر إليها... يتنهد بعمق... هذه النظرات الزائغة لم يعهدها سابقاً... يرتشف من كوبه، يعاود النظر حيث هي، يسألها عن الابن ودراسته...

ترد باختصار (زين).

كيف انقطع الحديث بينهما ؟

كانت تملك ثرثرة عجيبة... تحدثه في كل التفاصيل... المهم منها والتافه... تغوص به بكل أحداث يومها وأحداث الابن... والآن التعليق بكلمة واحدة فقط (زين)

ماالذي حصل معك ؟

يشعر الدمع في عينيها... يحتار أكثر

يسأل: ماذا حدث ؟ منذ أشهر طويلة كلامك قل واهتمامك بي انقطع حتى ابتعدت فيه عني.

تنظر إليه وقد فرت دمعة يتمية، أخذت مجراها على الخد باندفاع مجنون... يقترب منها قائلاً: يقلقني حالك.

تحاول التهرب من ضمته... يغضب من تصرف يعطي دلالة

واضحة على عناد وكره... تتعلل بأن الجلسة غير مريحة... تصعد للطابق العلوي... تتمدد... تضع الأوراق على الفراش.

إن ما عرفته جعلها تجن بعض الشيء، ولكنه القرار الصعب الذي لم يتخذ بعد... هل تهجر أو تزعل وترحل؟

ولكنه الابن... ذلك العائق لهكذا قرار... ماذنبه؟ وما حاله دون الأب ؟

قد ملكت العديد من الأدلة على خيانته لها... تحاول التنفيس عن الذات بخواطر تخطها مرات على ورق أبيض... من الصعب أن تخبر أحدا بما عرفته... لا الأم ولا الأخت ولا الصديقة كل ما تفعله يسقط بين الأضلع وتخطه بقلمها عبر كلمات... مجرد كلمات ...

تشعر بوقع خطواته تقترب... غاضب هو، فهذا هو حالها ترفض أن يضمهما ذات المكان، وحالما حاول مجرد محاولة لفتح باب الحوار يجدها تسده بأدب وهدوء مثير للأعصاب... يغضب ويأخذ بالصراخ كالمعتاد... يرتدي ملابسه على عجالة وهو يردد: أنت لا تطاقين ... يخرج صافقاً الباب.

لا أطاق... هذا مبرر كل الرجال عند الخيانة... تبرير أجوف يدل على عقلية حمقاء... لابد أن يكون لديه الآن موعد مع إحداهن... تتململ... تشعر بعدم الرغبة في الكتابة... البيت

خال بعد خروجه والابن مازال يلعب في بيت الجيران.
ترتدي هي الأخرى ملابسها وتخرج... لكنها تظل بعدم الرغبة في الحديث مع أي كان، لذا تدخل (المول) القابع على الخليج... تختار مقهى معين... تجلس تطلب شاياً أخضر... ترتشف وتطالع أفواج الناس من رجال ونساء وشابات وشباب... الكل يسير والكل يتحدث .
يشدها من يجلس في الطاولة المحاذية لها... رجل وامرأة... يسحب الكرسي لها... يقرب قائمة الطلبات منها .. يبتسم لها... يمسك يدها بحنو غريب... يعاملها كأميرة لم تتوج بعد... تبتعد بخيالها عن هذا الواقع المؤلم الذي تعيشه منذ اكتشافها لغدره... كان هو كحال هذا الذي يجلس بالطاولة المحاذية لها... لابد أن طريقته تلك هي المصيدة التي اعتاد أن يستعملها مع الأخريات، أو تكون طريقته هذه قربت الأخريات إليه .
تشعر بحزن ملعون يلف الوجود كله فيغطي النور وينتصر الظلام... مرت أكثر من ساعة حين رن هاتفها النقال وكان الابن على الجانب الآخر يسأل: أين أنت يا أمي ؟
ترد بعاطفة الأمومة الحلوة: إني قادمة.
فمهما ابتعدت وهربت لابد أن تكون العودة حيث الابن الحبيب...
رأت سيارته واقفة... إذًا عاد من رحلته مع الخيانة... تدنو من

غرفة الابن، فوجوده في حياتها هو الجزء المثير فقط... تطمئن حين نام وهي تجالسه...

دخلت الغرفة... بدلت ملابسها... اقتربت من السرير... وضعت رأسها على المخدة وهو نائم، أو قد يتظاهر بالنوم ... تدير له ظهرها... تحاول النوم... تشعر به متململاً في جانبه... يحدث نفسه...

ماذا دهاها ؟ كانت مرحة، وكانت دافئة، وكانت تعتني بي بجنون...

المرأة الرابعة

تقلصات تصيب البطن... جاهلة السبب، فهذا حملها الأول... الأم رحلت قبل الزواج... تجد نفسها حائرة، فتأخذ بالدوران حول نفسها...

والزوج غائب عن البيت في عمله الذي يمتد إلى ما بعد صلاة العصر...

ألمٌ يعبرها من الأمام إلى الخلف ليطبق على الأنفاس... تتمدد على السرير لعل الألم يخف قليلاً، لكنه يصر على تجاوز حدود الصبر والهدنة... تتكور حول ذاتها... تضغط بكلتا يديها على البطن الذي انتفخ قليلاً، فهي تخطت الشهور الثلاثة في الحمل.

لطالما حدثت هذا الجنين الذي غرسه الله في أحشائها... فرحت به متعلقة بملامح مجهولة القسمات، شبيهة تلك الصورة الجدارية التي علقتها لطفل الحلم المرتقب... حلم الأمومة... ذلك الحلم الذي يراود كل أنثى في هذا الكون...

أخذت تنظر للبطن لحظات... الألم قوي... تحدث الجنين...

ما بك يا حبيبي؟

هلا تنظر إلي ؟

أريدك بكل قوة وبرغبة الغريزة وتطلعات الطبيعة... تصرخ قليلاً وتعض على الشفة السفلى من قوة الألم... ماذا يحصل لي؟

بطبيعة البنت التي خلعت عباءة الطفولة منتقلة لجو المرأة تجهل خطورة الحدث... بمن تتصل ؟

هل تذهب للطبيب أم تنتظر قدوم الزوج ؟

الألم يزداد كالأخطبوط... يلتف بأذرعه المتعددة حول الجزء الأوسط من الجسم.

ترفع سماعة الهاتف

. ألو... أحمد، (أشعر بعوار فظيع)

. لا عليك حبيبتي يمكن مجرد تقلصات أو (هوا)

. ماذا أفعل ؟ تسأل من وراء دموعها .

. انتظري لبعض الوقت وإذا استمر الألم اتصلي بي .

تأخذ المصحف وتلجأ لله في قراءة بعض الآيات الكريمة... يعصرها ألم شديد.

تتساءل: ما سبب هذا كله ؟ تحاول نسيان ما تعانيه بكوب شاي ساخن... لكن الألم يرفض المغادرة... تخطر على بالها فكرة الاتصال بأم زوجها... نعم هي الأكبر... لديها خبرة بهكذا أمور... لابد أن تعرف حلاً..

. ألو... هلا خالتي ...

يرتجف الصوت عندها

. فيكم شيء.

. (أحس بعوار خالتي)

. وين العوار ؟

. ألم فظيع في البطن.

. هل نزل عليك شيء ؟

. لا.. خالتي

. لا تخافي يا بنيتي... ربما عارض يمر مع الوقت.

تطمئنها ..

تغلق الهاتف... تأخذ في مطالعة قنوات التلفاز... على كثرتها تشعر بالملل... يأخذها الخيال بعيداً... عندما أدركت الحمل... تتذكر... سعيدة أنا... أتمنى لو كانت بنتاً... يضحك الزوج

. لماذا بنت؟

. أنا لا أم لي ولم تكن لي أخت .. محتاجة لرفيقة لي.

يزداد الزوج ضحكاً

. رفيقة لك !! الله يحيينا

تردد هي بهدوء وهي تهز رأسها... لست أدري... هي رغبة بالية قديمة... فعلاً الحياة بأمره هو سبحانه... تعود لذكريات بدايات الحمل...

أيها المولود متى تأتي ؟

عبارة قالتها في غفلة من زوجها مخاطبة الجنين كيف أضحكت الزوج حين قال:

أي مولود ؟ هو مازال نطفة... والله، والله أنت طفلة يخرجها

الألم من وضع الذكرى الذي كانت عليه.
تحاول الوقوف فتخذلها قدماها... الألم لا يطاق... تشعر بسائل حار بين ساقيها... ترتجف خوفاً وتصرخ (آآآآه) تدخل دورة المياه بصعوبة بالغة...
لابد أنها حالة صعبة وأمر طارئ... ترى بقعة من الدم تصل أرض الحمام... تشعر برهبة الخوف والخسارة... تصرخ... ما هذا ؟
تصل للهاتف ونقاط الدم تغمر أرضية الغرفة
. أحمد ...(تبكي بحرقة) أنا أنزف
يصرخ هو من الطرف الآخر
. ماذا؟ سآتي حالاً...
يرن الهاتف وهي لم تبتعد عنه بعد ..
. ها يا ابنتي... خف الألم ؟
. لا خالتي... هناك دم
تصمت الخالة فهي تعرف الحالة جيداً...
تحاول طمأنتها
.كوني مستعدة للذهاب للطبيب حالاً .
. نعم. أحمد قادم
. سآتي إليك
تجلس على الكرسي القريب... تضع يدها اليمنى على البطن

تحدث ذلك المستعجل للخروج قبل أوانه: لقد خذلتني ....
انتهى الأمر... ظننت أنك ستعيشين معي للأبد... أعجز عن العثور على أمل... الألم يزداد...
وحالة الإجهاض بدأت ...

المرأة الخامسة

الفرصة وإن أتت متأخرة إلا أنها تعطي للنبض نوعاً من الحياة وتدب الروح في جسد مات منذ زمن...

اقتربت من المرآة الكبيرة ذات الجوانب الذهبية... تمعنت جيداً بذلك الوجه الذي طاف الأربعين بسنوات مقترباً من الخمسين...

تجاعيد برزت متحدية إياها ومجموعة من خيوط بيضاء توزعت على الشعر الأسود...

قلبت أطرافه بيدها... جميلة كانت ومازالت... لكن قطار الزواج عبر محطتها منذ سنوات... كان لزاماً على من في سنها تزويج البنات لا انتظار العريس .

اليوم سيأتون لزيارتها رغبة في الارتباط بها... رجل يماثلها عمراً... من عائلة مناسبة... لكنه الخوف من حياة ظنت أنها انسحبت من وجودها... مرتعبة من البقاء بجانب رجل بعد أن يئست من وجوده... مستغربة كيفية النوم بجانب غريب لا تربطه بها سوى ورقة حمقاء يخطها طرف آخر...

تنظر للساعة المستطيلة الشكل... بقيت نصف ساعة على موعد اتفق عليه مع أخيها... دقات القلب عندها تعلو... تناطح دقات الساعة زمجرة وروتيناً... لكن القلب يحتاج لوليف يحتمي به ويشعر بطيبته وحنانه، فالوحدة قاتلة بعد رحيل الأب وبعده الأم بسنة واحدة فقط لترث هي وأخوها

الكثير الكثير من المال والعقار والأسهم .
تسمع طرقات خفيفة على باب الغرفة... تقف في منتصف الغرفة عاجزة عن الرد على صاحب الطرقات... تدخل زوجة الأخ بعد أن ملت الانتظار محدثة إياها: منى، ما بك ؟ وجهك أصفر.
تقترب مرة أخرى من المرآة.. تنظر بذهول للوجه الأصفر... تدنو زوجة الأخ وتمسك بعلبة (الماكياج) وتجلسها لتعدل من اللون والقسمات... ولكن هل يصلح العطار ما أفسده الدهر!!!
تبتسم زوجة أخيها بحنان، وتمسح على رأسها قائلة:والله حلوة... تشعر بنوع من الطمأنينة تسري في عروقها، فقد أعطتها هذه المخلصة دفعة من الثقة بالنفس هي في حاجة إليها... تنظر للساعة للمرة المليون، فالزيارة اقتربت... تسحبها زوجة أخيها خارج الغرفة حيث الاستقبال... تتلفت يمنة ويساراً... تختار أيًا من الأماكن تجلس... يطل الأخ من الدور الثاني حيث المنور... لا داعي للحيرة، ويعود من حيث أتى... تدنو الخادمة وتقترب من ربة البيت لتهز زوجة الأخ رأسها بالإيجاب، ومن ثم تبتعد لتعود حاملة المبخر تضع بضع كسرات من البخور... يدور الدخان في أرجاء المكان... رائحة طيبة لبيت طيب وأصل طيب... يرن جرس الباب...

تنتفض... تشعر بها زوجة الأخ فتردد: اسم الله عليك...
(هونيها) ... ما بالك ؟
تدخل غرفتها سريعاً بعدما سمعت صوت أقدام قادمة من الباب الخارجي للمنزل... تستند على باب غرفتها... تسمع الأصوات وقد اختلطت، وبعد دقائق يفتح الباب ليخبرها الأخ بضرورة الخروج حيث الزوار... تراه من بعيد...
لابأس به... طويل، أسمر كسمرة الأرض الطيبة... تسلم على أخته بيدها وتهز رأسها له وتجلس... يدور حديث مختلف الجبهات ومختلف الأهداف... كل يدلي بدلوه بعيداً بعض الشيء عن هدف الزيارة وكأن الزواج عمل مؤجل إلى حين... يفتح الأخ موضوع القدوم...
فتجيب الأخت :
هذا أخي... هو كبيرنا... تزوج قديماً لكنه لم يستمر ...
. إي ..نصيب. يرد الأخ ، وهل له أولاد؟
. لا. لم يطل زواجه أكثر من عام واحد، لكن بعد كل هذه السنوات له رغبة اليوم بالزواج من أختك...
يهز الأخ رأسه... إن شاء الله... إن شاء الله
تمر لحظات صمت .
لتسأل الأخت ..
. وهل لكم أو للعروس أية شروط؟

ينظر الأخ ناحية أخته ويجيب

. لاأظن ... فنحن نشتري رجلاً.

تشعر الأخت بنوع من الراحة...

فتسأل منى:

. وأين تعمل؟

يعلو الوجوم وجه الرجل وأخته ليرد:

. لاعمل لدي .

تطالع منى أخاها بنوع من الاستغراب دون التفوه بكلمة، فتتدارك الأخت الأمر

. إنه يبحث عن عمل ...

الأخ: أي عمل في مثل هذا العمر ذاك الذي تبحث عنه ؟ المفروض الآن أنت على أعتاب التقاعد...

تجيب الأخت:

. كان يعمل في وزارة الإعلام، لكن العمل لم يكن على مستوى طموحه فتركه...

منى: وكيف سنتزوج وأنت لا تعمل ؟

هل لديك أملاك مثلاً ؟

يضحك العريس القادم من خلف أبواب الماضي ويرد

. لا أملاك ولا شي ...

تشعر منى بانفلات الفرصة قبل قدومها، وتصمت... أخذ

الحديث يدور بهم في حلقات فارغة... ليسأل هذا القادم ماسبب اعتراضك يا منى ؟

تشعر بالدهشة لهذا السؤال الغبي... وتتساءل داخلها: ماذا عساه يقصد .

تطالع أخته بعد أن مل انتظار الجواب لسؤاله فتبدأ الأخت الحديث

ولكن حسب ما نعرف أنت ورثت الشيء الكثير... تركت هذا العبارة آثارها السلبية داخل صدر منى ... إذاً هو يريد الاستفادة مما أملك...

آه... إن هذا الطمع منه يشعرني كأني حثالة تقيم بما تملك من مادة فقط...تضطرب الأنفاس لديها... تنظر الأخ المصدوم وهو منكس رأسه مصدوم بما سمع، حزين لما آلت إليه حال أخته الوحيدة... تقف منى في مكانها لتردد: محال... محال أن أتزوج بمن قدم طامعاً.

تقف أخته متسائلة: وما الذي يزعجك في هذا الأمر ؟

تضغط على شفتيها قهراً وحال لسانها يقول يا لوقاحتك !!!

تنظر إليها أخته بتحد قائلة :

إذا كان الرسول . صلى الله عليه وسلم – يقول: تخطب المرأة لـ... مالها.

يقف الأخ معترضاً وزوجته تبادر بفتح الباب الخارجي

للاستقبال ليخرج العريس ومن خلفه أخته ..
تنظر منى لأخيها... يدنو منها واضعاً يده على كتفيها...
لا عليك... غداً يأتي من يعرف قدرك...تتنهد...
وهل هناك غد في العمر الذي جر عرباته وسار سريعاً؟

عطل

وقفت في منتصف الطريق... يصفعها هواء البلد الحار من كل جهة وغبار الطرقات، وغمزات الشباب والشعر الذي هده غضب الريح وجنون (الطوز) وقطرات العرق التي عبرت الجسد كله وحفرت دروبها دون رحمة...

تعطلت السيارة... تتذكر قبل شهر حين خاطبته... سيارتي قديمة... أنا بحاجة لأخرى... بغضب رد وقد أغلق خلفه باب الغرفة:

(من وين لي فلوس مو كافي تزوجت واحدة ما تشتغل ؟)

لم تكن غلطتي أني لم أكن موظفة... فأنا لم أكمل تعليمي... ولم أغشك حين تقدمت لي.

دخلت مرة أخرى سيارتها وجلست خلف المقود ... تديره... لا يتحرك أبدا... تقرر الاتصال به... الشارع يعرضها لتعليقات شباب سخيفة... يرن هاتفه مرة ومرتين، ولا يجيب... تتلفت يمينا ويسارا، علها ترى سيارة تاكسي من سيارات الأجرة التي امتلأت بها البلاد.

لا فائدة... بالرغم من زحمة المكان لا تمر بجانبها أي سيارة تاكسي... تحضرها أغنية (ياااالتاكسي) ترددها بصورة غبية بينها وبين نفسها... فرضت نفسها كلمات الأغنية بالقوة والجبر حين فكرت بالتاكسي... تعاود الاتصال... (لا حياة لمن تنادي) هاتفه يرن وهو لا يرد ولا يعطيها أدنى اهتمام...

تقف سيارة شاب بجانبها... يطرح المساعدة... الخوف منه يجعلها تعاود الجلوس في مقعدها خلف المقود... تصرخ حين عاودت الاتصال به: رد... رد...

تشعر بغصة عالقة في البلعوم... تخرج ... تعاود الريح لعبتها العنيفة معها عبر الشعر مرة وعبر الفستان مرات... تدخل حبات الغبار في إحدى العينين... تفركها بعصبية ظاهرة... دموعها تنساب على الخد... لا تدري إن كانت من تأثير حبات (الطوز) أو هو بكاء مندفع.

الهاتف في الجانب الأخر يرن... حتى ينقطع من ذاته، وألم في الصدر يعصر الحياة داخلها ويدخلها برودة الاحتضار... السؤال المعلق في الهواء عاجز عن الإجابة... أين هو ؟

حركات الرأس منها أشبه بإنسان متخلف يطالع السيارات المارة بسرعة البرق بجانبها دون أن تدرك النوع والموضوع... تدور حول السيارة كأنها تفقه شيئا وهي الجاهلة بالموضوع من أوله لآخره.

تفيق على ذلك الرجل الذي صاح بها: انتبهي... كانت قد اقتربت من أمامه دون إدراك منها... تبكي أكثر... المكان والظرف والجو المغبر كحياتها وهو .

كلها أمور ابعدتها عن المنطق والعقلانية في التصرف والتفكير ورؤية الخطوات ماذا يحصل لو صدمتها سيارته ؟

هكذا حدثت نفسها... هي موتة والسلام من التراب جئنا وللتراب نعود... مازالت تعاود الاتصال به... لا تملك إلا المحاولة للمرة المليون وهو...

آه منه... لا يرد...

ربما كعادته يجلس مع إحداهن... لن يخسرها من أجلي... دقات القلب تردد العبارة الجوفاء والموجعة... لن يضيع فرصته معها !! لذا لا يرد.

تغلق باب السيارة الخربة... تقف أمامها... تريد العبور، لكن السيارات المتلاحقة لا تترك لها الفرصة... تقف أمامها سيارة فيها مجموعة من الشباب... يخاطبها الجالس بالمقعد الأمامي بجانب السائق:(توصيلة ؟) تلعن الساعة التي وضعتها بهكذا موقف وتلومه هو (الزوج) أين غيرة الرجل على امرأته !! لكن لا فائدة، الأخريات أهم... أنا مجرد امرأة لديه من عدة، مضمونة... لكن هي علاقات أيام أو أشهر وتغادر... لا بد أن يستغل الفرصة فكيف يرد علي !!!!

يخطر على بالها الاتصال بأخيها... تشعر بالخجل... ماذا تقول له؟ زوجي يصم أذنه عن ندائي... ؟؟

لا يستجيب لاتصالاتي ؟؟

لا يتحمل مسئولية الموقف ؟؟

يخونني في اليوم ألف مرة ؟؟

تتنهد بحزن معهود... تقرر مغادرة المكان... تسير بضع خطوات... تقف على أحد الارصفة... تطالع السيارة عن بعد... ربما يصدمها سائق أرعن... ليكن، حتى يخلصني منها... تكمل السير... تشعر بتعب هد الجسد ... الكعب العالي لا يساعد على السير في الطرقات، وعبث الريح مع الفستان ينرفزها ويكمل على الأعصاب المتعبة من الموقف ومن تجاهل اتصالها... مازال هاتفه يرن... تعاود المحاولة... مازال يرن... لا وقت لديه للرد... ربما ليس الوقت فقط... ربما الظرف ذاته... ربما هي بين يديه ووجودها بين يديه يعيق الوصول للهاتف النقال .

تراقب (المول) في آخر الشارع... مازال الطريق طويلا، وهؤلاء المارة كأن بعضهم يقرأ مايجول داخلها وما تحدثها به نفسها فتشعر بنوع من الخجل... تأخذ في عتاب النفس... لم الخجل ؟!

هو المذنب (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

الرنين ممل وعدم الرد أكثر إملالا، وأزيز الهاتف يزعج الأذن، والرغبة في البكاء اختفت لتحل محلها الرغبة في الصراخ... هكذا أفضل عدم الاتصال بالأخ... مخاطبة نفسها... فهو دائما يعيب فيها ضعف الشخصية تجاه الزوج.

فعلا هكذا أفضل، فالشكوى لغير الله مذلة...

ألم القدم يحضها على الوقوف برهة... آآآه من الريح العابثة بالشعر والفستان...! تماما كعبثه مع الأخريات.

المارة يعبرون... والعرق اختلط بذرات الغبار، وعرقل عملية التنفس لديها... تستمر في السير... تطالع المبني المرتقب (يالله قربت)

تتصل به... يرن مرتين فقط فتغلق هاتفها... هكذا أفضل... فلا فائدة ترتجى منه... تدخل من بوابة السوق التجاري... يفتح الباب الأتوماتيكي... تشعر ببرودة المكان أشبه في هذه اللحظة برودة عواطفها تجاهه... تترحم داخلها على مخترع التكييف المركزي... تصل مباشرة للمقهى الذي يتوسط المجمع... تجلس على أول طاولة، تشير للعاملة الآسيوية... تسرع إليها إحساسا منها بالحال... تطلب ماء وفنجان قهوة وقطعة من الكعك، فالجوع والعطش أنهكا الجسد والعقل والروح...تدير العاملة ظهرها... تخاطبها بصوت عالٍ: الماء أولا لو سمحت.

يرتخي الجسد المنهك على الكرسي... تحدوها رغبة في خلع الحذاء... يلامس قاع القدم أرضية المبنى الرخامية، تشعر ببرودته... تنطفئ جمرة النار في الجسد... يطالعها الجالس بجانبها... لا تعيره أدنى اهتمام... يضحك.

يسخر من فعلتي تلك ؟

ما عاد هناك شيء يهم...تمر لحظات حتى يكون الطلب على المائدة... تأكل دون لذة ولكنه قرار لسد حاجة ما... ترتشف القهوة وتشعر بمرارة البن داخل الفم... ينفد الماء من القارورة... تأخذ بتقليب هاتفها...

مرت قرابة الساعة مذ أغلقته... تعاود فتحه...

يعطى رنة (المسج) دقتها المختارة... تفتح الرسالة... اتصال منه... مرة واحدة ...

تسخر من حالها وتبكي على وضعها المزري معه... تتصل ؟ أم تنتظر منه الاتصال ؟

ترد على روحها المنهكة من تعامل جارح منه... وهل تتوقعين اتصالا منه ؟ ساعة كاملة ولم يتصل سوى مرة ردا على مليون اتصال منك ؟

ماذا تنتظرين منه ؟

أي غباء هذا منك إن ظل لديك أمل فيه ؟

تمر ساعة أخرى... يرن هاتفها...

اتصال منه.

ياااه !!

أهذا اهتمام زوج بزوجته ؟

هل ترد أم تعامله بالمثل ؟

تهدأ ثورة الأعصاب لديها لتنقشع غمامة الجهل في التصرف

أو الصبر اللامنطقي أو ضعف الشخصية كما كان الأخ يصفها...

لا بد من موقف يصدر عنها إليه ليعيد حساباته ويغير من أسلوب تعامله معها ويترك عبثه بحياتها ومشاعرها وأعصابها وإلا لوصلت لمرحلة تدخل فيها معترك الأمراض المزمنة والمستشفيات...

يجب أن أحب نفسي أكثر حتى يحبني، وأن أراعي ذاتي أكثر حتى يهتم بي.

الاتصال منه للمرة الثالثة... وقرار عدم الرد هو المسيطر، ليصمت الهاتف لحظه... تتصل بالأخ... تخبره أن يأتي لأخذها من المجمع التجاري... على الجانب الأخر يسأل...

ماذا حدث؟

أين سيارتك وأين زوجك ؟

ترد هي من جانبها ..

سأخبرك بكل شيء حين تأتي ...

اختناق

كانت خناقة الأمس هي التي حملتني بعيداً عنه... وبعيداً جداً... وبكيت كثيراً... شعرت بأن روحي تنسحب مني وأن قلبي فقد قدرته على استمرارية النبض والحياة... أخذت أدور داخل نفسي لأتساءل من أنا ؟ وما هو ذنبي...؟

أردت أن أتنفس بحرية... أردت أن أحرر حياتي من الارتباط به والوقوف بجانبه... أردت أن أعترف لأول مرة مذ ارتبطت به بتجاربي وبفشلي...

البكاء أرهقني وأضعف داخلي قدرتي على الغفران والتسامح... طرقات الباب مازالت تتواصل منه... يريد الدخول والحديث ولكني مازلت على شعور الألم بتجاربي... و(مسجاته) تعلن رغبته بالأسف... ولكنه أسف جاء متأخراً جداً.

اختناق الروح داخلي محصور في أضلع مكسورة، تصعب عليّ التنفس وتعيق منطقية العقل التي طالما مارستها وعايشتها معه...

الغرفة ملت من صوت النحيب المقنع... وأركانها استفزتها حركات مني رتيبة... والدوران حول الذات أشعرني بدوخة غريبة وكان لابد من إعلان هدنة مع أطرافي المتعاركة... أدرت التلفاز ليطل على الفيلم العربي (سهر الليالي) شدتني أحداثه وقذفت بي مع كل أفكاري وعواطف الشخصيات لتعلق حكايتي معه مع كل طرف في الفيلم... صار متنفساً لي

دون رغبة مني.

فها هي حنان ترك تأخذ بمعايرة الزوج بالمال والنسب والمركز وبأنها عرفت دونيته في كل شيء وارتبطت به بمصالح متبادلة... تماماً كما قالها لي بالأمس: من أنت؟ وما هو وضع عائلتك؟ كلماته سهام مسمومة اخترقت فيَّ قلباً مات من فوره... وأنزلت ستار النهاية لزواج استمر سنوات... طرقات الباب تعاود الرجوع والضجيج... وسؤالي: ماذا يريد مني أيضاً ؟

هل يعتذر أم يكمل ما بدأه من فورة إهانات بأني أقل منه مستوى... أرفع درجة التلفاز صوتاً... أريده أن يخرس طرقات العنف على باب غرفتي... أرادني خرساء وعمياء... وأن أصم أذناً وأغمض عيناً عن خياناته العديدة لي... وحين تحدثت أظهر لي سبب الخيانة بأني أقل مستوى منه مادياً واجتماعياً؛ لذا لا يحق لي الاعتراض أو الرفض أو مناقشة الأمر معه.

إن خناقة بطلة الفيلم (حنان ترك) مع زوجها تعطيني ضوءاً مغبراً لا لون له فبدا الأمر عندي أشبه بمخيلات ترقص جنوناً... هل بعد هذه السنوات أقف ببله واضح أمامه ؟

أصرخ دون صوت ؟

أبكي دون دموع ؟

(أتخانق) دون وعي ؟!!

لقد تحملت فوق طاقتي خيانات وبخل وإهانات...
مازالت صورة (منى زكي) وهي تبكي مصدومة تصف غدره وخوفها وصبرها... تسمع آهاته مع الأخرى تردد كلمة (تعبت ورحمة أبويا تعبت) لأجد نفسي أعيد العبارة مليون مرة عليه وعليّ ...
لم يرحمني فيلم (سهر الليالي) الذي رسمني في شخصيات ثلاث فأرى رفض (جيهان فاضل) معاشرة زوجها ونفورها منه... شبح يطل عليّ من جانب آخر يعلن تقززي من مجرد اقترابه مني أو دنوه... فأحس كما لو كنت أغرق في بئر لا قرار لها لأردد: هكذا يمارس الحميمية مع الأخريات... فأنا لا وجود لي... واليوم استطعت النطق وتعلمت لغة (الخناق) والاعتراض والرفض... أعلنت له أني أملك كرامة إنسان وكبرياء أنثى وأني أرفضه زوجًا خائنًا، وفردًا أنانيًا... بخيلاً... متعاليًا...
أنا لم أختره. هو الذي اختارني زوجة ورفيقة درب... عرف في جمالي المتوسط ومالي المتوسط وتعليمي المتوسط... لم يجبره أحد على شيء... هكذا رآني وعرفني... لم أزين نفسي أو أظهرها بواقع مختلف أو أتصنع معه أو أمثل عليه...
طرق الباب مستمر منذ الأمس... هل يريد أن يتوب أو يعتذر ؟

أم يريد أن يرفضني قوية كما رآني أمس لأول مرة ؟
أم يريد أن يهين أكثر... ويجرح ويشتم أكثر ..؟
صورته باهته... صفراء... أخذت تختفي ملامحها وتبتعد عني مسافات عدة... أسمعه مترددا من خلف الباب يعيش ذعراً لأول مرة... يخشى فشله ويخاف انتصاري... لا يمكن أن أتحاور معه مجدداً فإن جادة الكذب لديه تستفزني والأمر كله مسألة معقدة، فالجرح ينزف ونفسي تراقب أمراً بات فاسداً وقلبي ينتظر عاصفة مختبئة خلف الباب...
تعاركنا... مازال يحمل في داخله نهاية صحبة... وكونه الزوج لا يعطيه الحق لكي يهين ويخون ويجرح... لقد ارتكب في حقي كل انتهاكات الحروب... فأنا أنشد المثالية في عالم لم يعد يعترف بالمثالية وجزء مني نسيته معه حين صبرت عليه... واليوم لدي شغف مجنون للتمرد.
أفيق من أحزاني التي طوقتني ساعات طوال على فتح الباب... أدير رأسي حيث دخوله... عيناي اللتان لم تغفوا مازالتا تملكان قدرة على الاتساع دهشة واستغراباً... يقف بعيداً... صامتاً... جزء منه يظهر الندم وجزء آخر يخرج فيه الشيطان الذي يرفض الهزيمة ليقول: هل جننت ؟ لم لا تفتحي الباب ؟ القوة داخلي تخرج مني لبؤة مخيفة... لا فائدة منك... ولن أقبل بمزيد من التجريح... يقترب مني... يشد شعري

بعنف... أصرخ... ليس ألماً، ولكنه رفض طال بعده... أبتعد عنه مرددة: يا ويلك لو اقتربت أكثر... يقترب حيث أنا... يشدني من ذراعي... أقترب من (مبخر) كبير... أحمله صارخة به: لو اقتربت أكثر... أهدده به... تدخل الخادمة مقتربة مني... تضمني وتبكي...هل أصبح الغريب أكثرحناناً!!

تردد: حرام بابا... حرام

طفح الكيل... لم يعد للموضوع بقية...شعرت بالنهاية، ولا مجال للعودة... يجر الخادمة بعيداً... يصفعني على خدي هذا أنا وسأظل هكذا... إذا أردت الاستمرار فليكن...

وإلا ...

لم أترك له مجالاً لإكمال كلامه...

الطلاق هو الحل .

يضحك بعصبية

لن أطلق بسهولة .

يخرج... أراه يبتعد في سيارته... ألمّ ملابسي... تساعدني الخادمة الآسيوية...

تضع حقائبي في سيارتي

وتضع حقيبتها معي.

دمـــــار

صعب أن تبدأ برحلة حدد موعد نهايتها منذ زمن بعيد... جلست في غرفتها فقد شارفت على عامها الخامس والثلاثين... امرأة تناستها فترات المراهقة والصبا وعبرت مباشرة إلى كهولة مبكرة... صوت أبيها يعبرها حزينا، مكسورا... حين أخبرها أن هذه هي فرصتها الأخيرة للزواج...

أرمل ذلك القادم إليها في الخمسينات من عمره... أبناؤه غادروا حضنه إلى أحضان أخرى... والزوجة فارقته بعد مرض وخانته قدرته على التعامل مع وحدة مفروضة عليه فكان لا بد من ارتباط ثان.

وهي كيف تقبل؟!

الدمار داخلها أكبر من أن ينسى أو أن يمر... تشعر برغبة في البكاء، فلطالما تقدم إليها العديد ولطالما رفضت لذات السبب... لكنها اليوم وحيدة مع أب قارب على الرحيل في نهاية محتومة... من سيقف معها ومن سيمد لها يد الوصل؟! أبوها يلح وبصورة مستمرة مذ قدوم الأخير للارتباط بها... العقل شبه متوقف لأسباب تمتد في عمق الزمن لثماني عشرة سنة... لبدايات الغزو العراقي للكويت...

تتنهد بعمق... تجذب غطاء السرير... تجره حيث هي... تشعر ببرودة تسري في جسد نحيل... لم يأت أوان تشغيل التكييف والجو معتدل، فمن أين أتت تلك البرودة؟!

تدرك تماما أنها مجرد الذكرى.

تستند على ظهر المقعد الأسود كسواد عالمها منذ عام ٩٠ تشعر برغبة في الصراخ... ضاع العمر سدى بسبب ظلم ودمار... تعود لتلك الأيام بدايات أشهر الغزو العراقي... كان البيت يضم الأم والأب والأخ وهي... أخوها شاب في العشرينات من عمره... مفعم حيوية وحياة وتدرب على بطولات أعطيت له في مناهج الدولة على مدى سني عمره حتى تخرج، فترعرع على حب الوطن (حب الوطن فرض عليّ) كان يردد دائما مقطع هذه الأغنية الوطنية... رفض فكرة الاستعمار لوطن مسالم من جار غادر... رفض أن تسلب أرض البلد وتدمر... رفض أن يضيع عالمه عبر خريطة وطنه... ثورة الشباب ومقاومة الأبطال... أطاحت به قوة العدو وقهرته قلة الشباب أمام ملايين من العسكريين حتى عرف العدو دوره ومكانه وبيته...

تتقلب حيث هي... كأن مجرد الولوج في نفق الأزمة يطعنها من جديد ويؤلمها بشدة، ولا تقدر على التعامل مع الحادثة دون وجع... تنظر للأضواء ترقص أمامها... تفقدها المزيد من القدرة على التحمل وكأن الدمار في الجوار مازال يتشاجر معها... وكأن البكاء الداخلي يفرغ بركانه فيها... وكأن الماضي مازال حاضرا ومستقبلا، لا تستطيع أن تأمل في

تجاوزه...

مجموعة من الجنود تفوق الثلاثين طوقوا البيت وتسلقوا جدرانه وأسواره...

عيون الشر تنطق بها نظراتهم، وبوادر العنف في صوت وكلمة ويد وسلاح... رفسوا الباب الداخلي للغرفة... تشابكت الأصوات والأوامر والصراخ... لم يستطع أي كان أن يفهم ما يقال أو يعي ما يجري... التوت بجانب أمها... وقف الأب في الأمام...

الكل يصرخ في ذات الصوت وذات اللحظة (وين محمد ؟؟)

كان محمد قد اختفي في الغرفة الصغيرة فوق أحد حمامات البيت بعد اتصال من جيران الشارع... الكل يخبر البيت الذي بجانبه أن هناك تفتيش... الكل كان يحب الآخرين ويخاف عليهم ويحذرهم، لكن العنف الذي غلف جنود العدو والغدر الذي تعاملوا به وتفكيرهم المنحرف جعل قائدهم يجرني حيث أنا... يمزق كل قطعة ملابس مرت على جسدي...

أمي صرخت بعنف الأمومة وخوف الأم..

وأبي حاول الامساك بي وجرى ولكن إلى أين؟

ضرب بعصا أحدهم فتكوم دون أن يقدر على الحراك...

واغتصبت بكل شراسة الرجال أو الحيوانات إن صح التعبير من أربعة... أو خمسة... لست أدري... بكى أبي في مكانه...

وضعت أمي يدها على رأسها واختلطت عندي روائح الدم والعرق والعفن... وحين وضع القائد طرف بندقيته على رأس والدي صرخ أخي حيث هو: لا ... من حنجرة باكية وقلب مفجوع... نزل دون النظر إلي حتى لا يشعر بتأنيب ضمير يزيده وجعا...سُحب... حاولت أمي سحبه من الطرف الآخر... أُخذ منذ ذلك الحين ولم يعد.

تفيق من لحظات الذكرى المدمرة باكية

ماتت الأم بعد التحرير بسنوات قلائل، لكني صحوت على صدمة أفظع من الاغتصاب... حملي... من هو الأب ؟ يكفي أن يكون مجرما قذرا... وضعته . صبيا . بعد التحرير ببضعة أشهر... لم أنظر إليه أو أطالعه... يكفي أشهر الحمل وابتعاد نظرات أبي عني وصوت نحيبه ليلا... جعل كل ما في داخلي يرفضه قبل أن يولد.

أخذته أمي بعيدا... لم أسأل أين... كان يراودني في فترة النفاس حلم غريب... أراه فيه شابا مبتسما خلف حزن معتوه... عزلت نفسي عن الحياة... كان رأسي يعج بآلاف من التساؤلات عن مصير مجهول لكلينا... أنا وهو... وبدأت التعّود على أن لا مستقبل لي بالزواج.

تقدم لي كذا واحد كنوع من الشهامة، وإن ما حدث لا ذنب لي فيه، لكن لمجرد التخيل للأزمة وللدمار الذي لحق بي

كنت أرفض وهذه هي المرة الأولى التي يصر فيها أبي علي... ربما لشعوره بدنو أجله، وربما خوفا علي من غد غير محدد الملامح... ولأول مرة منذ سنوات يعود ذات الحلم من جديد بابن لم أعرفه ولم أتقرب إليه، فكان القرار...

تحمل نفسها... تطرق باب غرفة الأب... تلمح حزنا مازال معقودا في نظراته... تجلس بجانبه بعد أن تقبل جبينه... يبتسم إليها بحنان... يسأل

. وافقت ؟

تهز رأسها بالنفي

. نفسي ترفض الفكرة يا الغالي..

. ولكن

يصمت برهة..

العمر انتهى يا ابنتي ..

يكمل: وقد خنقته عبرات: أردت التحدث إليك بشأن قرار فكرت به... طالعها بحنان بالغ... طالعته محدثة نفسها: أنا محظوظة بوالد مثله... مرت لحظات صمت مفروضة على الاثنين حين أمرها بالمضي قدما فيما أرادت الحديث عنه... لم تنظر ناحيته هذه المرة... خشيت ردود فعل عنيفة قد تصدر منه وقالت: أريد التعرف على ابني.

الصمت استمر...أكملت مبعدة ناظريها عن ناحيته: اليوم

عمره ثماني عشرة عاما... أريده رجلي الذي يساندني... ومهما قلنا... يظل هو قطعة مني... يمر عليها نحيب الأب الذي حاول إخفاءه... ليسأل

. هل تقدرين؟

. لقد تربى هنا... في بلدي الطيب... في دور الرعاية أكيد يتحدث لهجتي... ويعرف خريطة بلدي. لذا فأنت القادر على إحضاره لي... فهل تعرفه؟

. نعم... استمرت أمك بزيارته حتى توفيت، لكن منذ وفاتها لا أعرف عنه شيئا... هل هذا هو قرارك الأخير؟

. نعم يا أبي..

شعرت براحة منعت عني الشعور بالألم مذ فكرت باللجوء إليه...

ينهض الأب من مكانه... غدا صباحا سأذهب حيث هو وأخبر المسئولين بالقرار.

هكذا قال الأب .. وأكمل: للدولة قانون تطبقه مع هؤلاء فلا أدري ما هو لكن سأحضره إليك بإذن الله... خرج الأب من غرفته... ظلت هي لفترة... شعرت أنها مدعومة من أب قد لا يؤيد قرارها... تنفست بعمق .. أحست بنوع من الطمأنينة داخلها... خاطبت داخلها:

يكفيني من هذه الدنيا ابن لم أعرفه يكون سندا لي...

نوايا شريرة

حين تعينت هذه الجديدة في نفس قسمي وجدت منافسا منها إليّ من نوع غير عادي... فقد تخرجت بتفوق كما أنها ذات جمال مبهر... تملك من الذكاء أعلاه ومؤدبة بشكل أخجل أنا منه... يعني باختصار كانت شبه كاملة ونشاطها يفوق الوصف، وحسن تصرفها يشد انتباه العديدين.

شعرت بغيرة لم أحس بها من قبل... نار في جوفي أعاقت أي مشاعر إيجابية ناحيتها، خاصة حين انبهر بها زميلنا في ذات المكتب... كنت أتمنى لو أدرك جزءاً من نقاط ضعفها حتى أدخل في محاربتها منه... لكني عجزت... وزاد تفوقها علي في كل شيء... في حديثها الذي يشد غالبية رجال الإدارة... في ضحكتها التي جذبت زميلنا المشترك... في نشاطها وجهدها وحضورها المبكر الذي أشاد به مديرنا... في معاملتها الراقية للمراجعين... تفوقت وبقوه وبدون منافسة تذكر مني.

بدأت أترصد لها لعلها تخطئ أو تقصر على مدى أشهر العمل دون جدوى... ووجدت أن صبري أخذ في النفاد، وحالة من العصبية احتوتني والتحمل يفوق قدرتي.

اقتربت منها ذات مرة، قلت لها: أماني، ألا تملين العمل على نفس الوتيرة من النشاط؟

تبسمت برقة وقالت: هو الإخلاص في العمل الذي أمرنا به الله عز وجل... إجابة صفعتني بها... لأرد بصوت هامس: هذا

و الله الكمال بذاته... طالعتني بنظرات تستفسر عبرها عما قلت وتتساءل أنها لم تسمع ما أقول... ولكني تركتها خارجة من المكان أسخر من نفسي.

زميلنا يتقرب منها بشكل مستمر، وأرى في عينيه حباً وهياماً ولطالما أعجبني وحاولت معه لكنه كان يتعامل معي (بثقل ورزانة)... تمنيت لو تخطئ يوماً ما في مهمة ما أو تتأخر أو تتغيب حتى أخبر المدير بأي زلة منها... لكنها تفوقت علي ولم تقصر في أي عمل يوكل إليها، حتى كان يوم... وجدتها ترفع (تنورتها) تحت المكتب وقد كان المكان خالياً إلا منا نحن الاثنتين...

لم أدرك ماذا تفعل حتى ألقت بشيء ما في سلة المهملات وغادرت حيث الممر... قفزت من مكاني سريعاً لألقي نظرة على ما ألقت... إبرة لعلاج السكر... تعجبت... أفي مثل عمرها !

التفتَّ خلفي وإذا هي تقف حاملة قطعة خبز وكوب عصير... طالعتني بنظرات هادئة وأجابت: نسيت أن آخذ علاجي في المنزل هذا الصباح... شعرت بنوع من الخجل من ذاتي وكأنها بهدوئها هذا تؤدب في تطفلي... كرهتها أكثر... وحقدت عليها بشكل مباشر وأظهرت لها مشاعر الحسد مع الأيام، فلاذت بالصمت واختفت خلف الهدوء، ولم يظهر عليها أي

تأثير سلبي لما بت أفعله بها.
جلست ذات يوم على مكتبي وقد احتواني غضب عتيق يكفي لتدمير كلتينا، وبرزت في رأسي فكرة مجنونة... لو أني عاقبتها بمرضها..
بت أتخيل لو أضع لها كميات كبيرة من السكر تكفي لرفعه دون أن تملك فترة للعلاج وتدخل في غيبوبة تقضي عليها... أو على النقيض أحرمها من وجبة الظهيرة التي اعتادت أن تأخذها كل يوم في المكتب حماية لنفسها من هبوط السكر... لأغلق الباب مثلاً ولا أترك لها فرصة للخروج...
تبسمت بيني وبين نفسي على ما فكرت به... لأكمل وسوسة الشيطان في جوفي... أي شيء يزيحها من دربي ؟ يكفي أنها استأثرت بغالبية موظفي الإدارة رجالاً كانوا أو نساء... وكل هذا التفوق في العمل والنجاح في عقد علاقات ودية مع الغير... والجمال المبهر الساطع كأشعة شمس لا تحجبها غيوم... والضحكة التي تفتح ألف قلب وقلب... والتعامل الراقي لنفس مطمئنة صافية نقية...أشياء عدة جعلتها متفردة أدمت فؤادي العليل وأصابتني بألوان شتى من أحقاد منوعة، خاصة حين دخلت بعلاقة حب مع زميل مكتبنا والذي حاولت مراراً شد انتباهه أو الاستئثار به دون فائدة...
الشيطان مازال مسيطراً والرغبة في إزاحتها من دربي مستمرة

من نقطة الضعف لديها (المرض).
ماذا أفعل... هل أنفذ؟
ظل السؤال مسيطراً.

المثل هو أبي

– تشربين قهوة ؟

– مره... سوداء.

– مابك ؟

– لاشيء .

– بل أشعر أن هناك الكثير... قولي

– خاطب تقدم.

– مبارك... مناهل صارت عروساً!! يافرحتي

– نعم صارت

– تخافين أن تفارقك ؟

– لا

– فلماذا هذا الضباب ؟

– تعلمين أنني دائما أفخر بأبي...

كان مثالاً للطيبة، ومثالاً لرجل يفرض احترامه أينما حل... لم أصادفه يوماً ينظر لإحدى صديقاتي نظرة رغبة أو شهوة... بل على العكس كانت الصديقات يحترمن فيه أبوته ورجولته بالرغم من مرحه الطاغي... كنت قد مررت ببضع تجارب مع بضعة آباء لصديقات... كنت أرى في أعينهم النظرة القذرة لرجال تسحبهم رغباتهم الحيوانية لأبعد من البراءة... وحين تزوجت تمنيت من كل قلبي أن يكون زوجي شبيهاً بوالد رحل وترك خلفه الذكرى العطرة...

تحدثت مع عبد اللطيف في سنتي الأولى معه... عن أبي ومثاليته... لم يكن زوجي قد تعرّف عليه... ربما لخسارتي المبكرة وربما لسوء حظه... قلت له ذات مساء: لن تنجب الدنيا رجلاً مثله... طالعني بنظرات ريبة وقال:

.كل بنت تتخذ من أبيها قدوة ...

أسرعت بالرد

. لا . ليس هذا المقصود .

مازالت نظرات الريبة تطل من عينيه... تجرني لمواقع الشك فيما أنا مقتنعة به...

أكملت بثقة

. (أبي غير ...) فأنا لست بنتاً صغيرة حتى لا أدرك ما أقول... أنا امرأة ناضجة... ابتسم عبد اللطيف لحظتها وصمت...

–تفضلي قهوة.

–شكراً.

أذكر عبارته لي حين أحس أن هناك من قد يسلب قلبي في بداية عامي الأول الجامعي (كوني يا مناهل كاللوحة المعلقة، الكل يراها... لكن لا أحد يطالها، أو ينزلها من مكانها)

هنا علمني معنى احترام الذات... وأهمية احترام الغير لي... وهذا فعلاً ما شد عبد اللطيف لي وقرّبه مني ومن أجله اتخذني

زوجة له...

لم تكن عندي الفرصة الكافية للتعرف على من تقدم لخطبتي... كان أخي الوحيد يريد التخلص من مسئوليته تجاهي... وأنا أثارني الاسم، والمنصب، والشهادة... وفي مجتمعي كان هذا كافياً...

حين مرت السنوات معه... كنت أراه زوجاً لا بأس به من حيث الطيبة والعطاء... لكن حين كبرت ابنتي مناهل أدركت حقيقة ما علقت به. فلم يكن شبيهاً لأبي... بل كان شبيهاً لآبائهن... آباء صديقاتي... كانت المفاجأة الأولى حين سمعت صديقة ابنتي . من باب المصادفة . تطلب من ابنتي أن تكلم أباها... استغربت في البداية لماذا هي تريد التحدث معه!!

هل هي وابنتي وقعتا في مشكلة ما ؟

لكن شعرت بحزن الابنة حين رفضت ذلك الأمر... وبدأت أركز على الموضوع... فهالني ما اكتشفت من همز وابتسامات متبادلة، وأيقنت أن الزوج هو صورة لما رأيته في بعض آباء الصديقات وخسرت ابنتي صاحبتها...

– وكيف تصرفت حينها ؟

– تصرفت بحكمة بعد أن أدركت الخطر المحيط بها وبي ... وأشفقت عليها، خاصة حين أتذكر خجل الصديقات من براءة الآباء...

لم أواجهه ...

قلت: ربما هي غلطة لن تتكرر... وربما هي استجابة لمن بادرت... وربما هو شك لا أساس له، ولم أنّبه الابنة لذلك... حتى عندما سألتها عن انقطاع صديقتها أجابت بما يدل على عقلانية: اختلفنا واكتشفت أنانيتها... ربت على كتفها وحضنتها وقلت:صديقة محلها أخرى... لا تحزني. الحياة ستعلمك أن الفراق شيء عادي...

لم أرد الخوض في السبب الأساسي وكذلك هي، لكن الواقع كان مراً... والحقيقة أفظع... وابنتي مازالت تتصرف بحسن نية، خاصة حين توسّطت بعد أن تخرجت في الجامعة كي توظف صديقتها في الإدارة التي يرأسها أبوها... أجهل في هذه اللحظة متى انحرف عن مساره... ومتى بدأت العلاقة مع صديقة ابنته... لكن ما آلمني أن الابنة كانت على علم بذلك... سكتت وحاربت ولكن بمفردها.

– كم هي قوية هذه البنت !!

– لكنها أخذت تتغير...

تنفرد بنفسها... ترفض مغادرة غرفتها... قلّت اجتماعية فتاة في طور التفتح، وبدأت تتجنب النقاش مع الأب... آلمتني حالها... وحين أناقش التغيرات التي طرأت عليها كانت ترد:هكذا أفضل .

لم أدرك معنى الأفضلية هنا... أين صديقات الجامعة الكثر؟ كانت لا تجيب... وانزوت على نفسها وتقربت فقط من ابنة عمها... ربما للعلاقة المحرمة مع الأب أو العم ... حتى كان يوم سمعتها تتشاجر مع أبيها في غرفته: يجب أن تنقلها لقسم أو إدارة أخرى.

كان صوت الأب في بداية الأمر هادئاً ويرد ببرود مثير: لا أقدر. وهي من خلف صوت البكاء تتساءل: كيف لا تقدر؟! أنت المدير ...

ليس سهلاً أن أنقل موظفاً عندي ...

بتهكم ترد: ولكن حسب معلوماتي هذا ممكن... قل إنك لا تريد...

تتغير نبرة صوته ويحتد: أظن أنني أنا الوالد... تكلمي معي باحترام.

أسمعها تغادر غرفته إلى حيث غرفتها وهي تبكي وتعترض... تعمّدت ألا أجعلها تراني... لكن في المقابل تعمّدت أن يراني هو، فأشاح بوجهه عني وأدركت أن هناك أمراً ما...

ابنتي أخذت تعاني ...

وأنا أيضاً أعاني، فأبي المثالي في نظري لم يكن عند ابنتي مثله... والتجربة أخذت بصقل شخصية ابنتي، لكن على حساب أعصاب وشباب ومرحلة قادمة في فرصة تكوين بيت

وأسرة...

– تفضلي الماء

–أنا أخذت كفايتي بالاستمتاع بحياة طبيعية مع أب أعطى الصورة المشرقة لابنته... وحظ ابنتي السيئ جعلها تتعلق بأب تشمئز منه القلوب والعقول... دخلت عليها ذات مرة بعد أن علا صوتها في هاتفها النقال... أغلقته حين لمحتني داخلة... ضممتها... بكت وبكيت معها... نصحتها بأنها يجب أن تصارحني بما تحس به وما يؤلمها قالت لي بعضاً مما سبق وعرفته... وأن صراخها كان مع تلك الصديقة التي توسّطت لها ذات يوم للعمل مع الأب...

طلبت منها التخلي عن الموضوع وأن تدع الأمر لي، وإنها يجب أن تعيش حياتها دون أزمات مبكرة... وبت أتوسل إليها بأن ترتاح مع يقيني أن صدمتها أكبر من أن تعالج.

ذهبت إليه ... في مقر عمله ... رأيتها فتاة أقل من العادية لكنها تملك جرأة وقحة... طالعتها بنظرات أكثر وقاحة من نظراتها لي... لم تخجل... تيقنت خسارة ابنتي... فخلق الابنة والتربية الصالحة تجعل المنافسة صعبة... وضعت اللوم كله عليه وعلى الحظ الذي جعل لابنتي أباً مثله...

دخلت مكتبه... تعجب لزيارة لا تحدث إلا بعد كذا سنة... ناقشته... طالبته بالخجل ...

باحترام فكر ابنته ومكانة بيت ... أنكر، وقال: إن مناهل متوهمة .

لكن ظهر الجانب الآخر للأم ، وهددّت أن ابنتي أغلى ما أملك... وأنه سيرى الوجه الآخر لي وإن تحمّلت فلي أسبابي، لكن أن تتألم ابنتي فعليّ وعلى أعدائي... وخرجت ...

صادفتها في الممر... وقفت قبالتها... نظرت إليها بقوة، وقلت: إذا لم تطلبي نقلك غداً فأقسم بالأب الذي رحل أنك تتمنين الموت ألف مرة على أن تبقي هنا في هذه الإدارة.

شعرت برعشتها وأدركت أن الرسالة وصلت إليها.

وكنت فعلاً قد اتخذت قرار الانتقام لي ولابنتي الغالية .

– والآن ؟

– أريد قهوة.

المحتويات

أنا ودراجتي الحمراء	١٣
لقـــــــــاء	٢١
نهايــة	٣١
حيرة	٣٩
مسألة وقت	٤٧
لقاء غريب	٥٧
هواجس رجالية	٦٩
استسلام	١٠٧
انحـراف	١١٥
هو ونون النسوة	١٢٥
أفكار مشوشة	١٣٥
هواجس نسائية	١٤٣

المحتويات

عطل	١٨٣
اختناق	١٩٣
دمـــار	٢٠١
نوايا شرية	٢٠٩
المثل هو أبي	٢١٥

رقم الايداع / ٢٠٤٦ / ٢٠١٤ ط٢

الترقيم الدولى / ٨ - ٥٢ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مطبعة إبراهيم سالم
٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧